# سوسيولوجيا القبيلة العربية قبل الإسلام
## (قراءة ثقافية في شواهد معجم أساس البلاغة, للعلامة جار الله الزمخشري ت538هـ)

م. م. عبد الحكيم عبد الزهرة حسن
أ. د. خضير درويش
كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كربلاء

# SOCIOLOGY OF THE ARAB TRIBE BEFORE ISLAM
## (Cultural reading in the evidence of the dictionary of the basis of rhetoric by the scholar Jarallah Al-Zamakhshari, died in 538 AH)

**Prof. Dr. Khudair Darwish**
**Assist. Teacher. Abdul Hakim Abdul Zahra Hassan**
**College of Education for Human Sciences / University of Karbala**

**Abstract:**

The research deals with the issue of societal significance in the life of the Arab tribe before Islam, through what was chosen by the author of the lexicon (the Basis of Rhetoric), the scholar Jarallah Al-Zamakhshari (538 AH) from Evidences and expressions that indicate this culture, within two chapters, I tried to comprehend the most important pillars of this culture. The first topic deals with the issue of the societal structure of the Arab tribe, the societal classes that make up this population, and the societal differences between members of the same tribe. As for the second topic, some of the societal phenomena that were prevalent in the Arab tribe before Islam, and these phenomena together formed the cultural identity of the Arab tribe before Islam. The second

**Keywords:** Arabi dictionary, Basis of rhetoric, Jarallah Al-Zamakhshari, Linguistic evidences, Sociology of the Arab tribe, the concept of homeland for the tribe

**الملخص:**

يتناول البحث موضوع الدلالة المجتمعية في حياة القبيلة العربية قبل الإسلام, وذلك من خلال ما اختاره صاحب معجم (أساس البلاغة) العلامة جار الله الزمخشري (ت538هـ) من شواهد و ألفاظ تدل على هذه الثقافة, وذلك ضمن قسمين, حاولت أن أستوعب فيهما أهم مرتكزات هذه الثقافة. يتناول المبحث الأول موضوع البنية المجتمعية للقبيلة العربية, والطبقات المجتمعية المكونة لهذا التجمع السكاني, والفوارق المجتمعية بين أفراد القبيلة الواحدة, أما المبحث الثاني فقد بحثت فيه بعض الظواهر المجتمعية التي كانت سائدة في القبيلة العربية قبل الإسلام, وهذه الظواهر بمجموعها شكلت الهوية الثقافية للقبيلة العربية قبل الإسلام.

**الكلمات المفتاحية :** المعجم العربي، أساس البلاغة ، جار الله الزمخشري ، الشواهد اللغوية، سوسيولوجيا القبيلة العربية، مفهوم الوطن للقبيلة.

**مقدمة**

لم يكن المجتمع العربي في العصر الجاهلي يفهم معنى الدولة المركزية كالتي كانت في أيامهم للفرس والروم، بل أن نظامهم المجتمعي مبني على أساس اجتماع جماعات يرتبطون بالنسب العائلي المفترض أن يكون مشتركا بينهم, وكذلك من دخل معهم بهذا النسب, أو تحالف معهم . و يدعى هذا التجمع: (القبيلة)، ويكون نطاق الحكم لكل قبيلة في المكان الذي اختارته لسكنها، ولا علاقة لها بالقبائل الأخرى، وهذا النمط من الحياة عندهم أدى لتشتتهم وغياب الحكومة المركزية

والوطن الموحد في شبه الجزيرة العربية، ووجود الخلافات والمنازعات دليل على انعدام النظام الموحد والمتماسك و وكذلك ضعف العلاقات الموحدة بين الجماعات المختلفة التي كانت تعيش في شبه جزيرة العرب، كان ذلك بسبب عوامل متعددة أهمها الوضع الفكري والثقافي العام في شبه جزيرة العرب, فضلاً عن العوامل الجغرافية والاقتصادية، وحتى تتوحد هذه القبائل المختلفة تحت عنوان أمة أو دولة, فهي بحاجة إلى ثقافة جديدة تنبعث فيهم تجمع القواسم المشتركة وتوحد القبائل حول أفكار وأهداف موحدة ومركزية، ولم يكن مثل ذلك موجوداً عندهم قبل بعثة النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالدين الإسلامي الحنيف، إذ كانوا متفرقين ومختلفين ثقافيا ودينيا, فكان لكل قبيلة في جوار الكعبة صنم خاص بها، وكانت المناطق الصالحة للسكن متباعدة، وكانت مصادر الثروات الطبيعية في الجزيرة محدودة. ولا مناص من أن يحدث بين القبائل نزاع و قتال على مناطق النفوذ.

موضوع هذا البحث عن الدلالة المجتمعية في حياة القبيلة العربية قبل الإسلام وذلك من خلال ما اختاره صاحب معجم (أساس البلاغة) العلامة جار الله الزمخشري (ت538هـ) من شواهد و ألفاظ تدل على هذه الثقافة, وذلك ضمن مبحثين, حاولت أن أستوعب فيهما أهم مرتكزات هذه الثقافة. هما:

أ- المبحث الأول: البنية المجتمعية للقبيلة العربية قبل الإسلام,

ب- المبحث الثاني: ظواهر مجتمعية في الحياة القبلية.

## المبحث الأول

## البنية المجتمعية للقبيلة العربية قبل الإسلام

### أولاً: مفهوم الدلالة المجتمعية وعلاقتها بالأدب:

يعد موضوع سوسيولوجيا القبيلة العربية, جزئية من موضوع أكبر وهو سوسيولوجيا الأدب العام. هذا الموضوع له جذور قديمة قدم الأدب نفسه ولا يخفى على دارسي الأدب ماهية هذه العلاقة, ويمكن القول أن أصولها ترجع إلى الفكر اليوناني القديم, "وخاصة مفهومي (المحاكاة) و(مشابهة الحقيقة) اللَّذَين تركهما أرسطو, وكان لهما تأثير – وربما لا يزال- على الطروحات التي قدمها ويقدمها الباحثون والمنظرون في نظرية الأدب والفن, وفي محاولة تأسيس علم اجتماع لهما"[1].

تأثرت الدراسات الاجتماعية للأدب في ميادينه المختلفة بالأحداث المجتمعية, فقد أرتبط الأدب بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وخصائص البيئة الجغرافية, والمعيشية, ومن ثم فهو نتاج عن هذه الحياة أو هو انعكاس لها بأبعادها المختلفة حسب- رأي الماركسية الجدلية – حيث تبنى المنهج الاجتماعي هذه النظرية وأسس بعض مقولاته النقدية لتفسير الظاهرة الأدبية عليها . حيث ربط " الأدب بالمجتمع والنظر إليه على أنه لسان المجتمع والمعبر عن الحياة. فالحياة هي مادة الأدب, منها يستقي موضوعاته, ويغترف أفكاره وتصوراته, وهو كذلك يتجه بخطابه إليها "[2].

في القرن الثامن عشر أخذ هذا الموضوع جانب مهم من تفكير النقاد حيث أصدرت مدام دوستال حوالي سنة (1800م ) كتابها الموسوم " الأدب في علاقاته بالمؤسسات الاجتماعية " وهو أول محاولة في فرنسا لجمع مفهومي الأدب والمجتمع في دراسةٍ منهجيةٍ واحدةٍ. فتحدد مدام دوستال موقفها في المدخل بقولها: " لقد عزمت على أن أنظر في مدى تأثير الدين والعادات

---

[1] علم اجتماع الأدب, أنور عبد الحميد الموسى:88

[2] مناهج النقد الأدبي الحديث, وليد قصاب:36

والقوانين في الأدب ومدى تأثير الأدب في الدين والعادات والقوانين "[3]. ثمَّ تطورت هذه الرؤية النقدية بمرور الزمن, والعلامة البارزة في تأصيل هذا المنهج ترجع إلى هيجل," إذ ربط بين ظهور الرواية والتغيرات الاجتماعية, مستنتجا أنَّ الانتقال من الملحمة إلى الرواية جاء نتيجة لصعود البرجوازية, وما تملكه من هواجس أخلاقية وتعليمية"[4]. ولذا يمكن القول: إنَّ المنهج الاجتماعي يبحث عن " مقام الكسر المشترك بين الكاتب مع أفراد طبقته الاجتماعية, والتجربة التي يعبر عنها يشاركه فيها أفراد أخرون, ومحتوى عمله ينهض على ملاحظة التصرف الإنساني "[5].

وكان (هيبوليت تين) من الأوائل الَّذين أشاروا إلى العلاقة بين الأدب والمجتمع. وهو فيلسوف فرنسي عاش للفترة 1828 – 1893 وبني نظرياته على مبدأين: التأثير المتبادل بين العوامل الطبقية والعوامل النفسية في نمو الجنس البشري وتقدمه, وقد أكد إمكان قراءة النتائج النفسية من قراءة المؤثرات المولّدة لها وهو ما أشار إليه في كتابه تاريخ الأدب الإنجليزي , إذ حدد عوامل التأثير في (الجنس,البيئة ,الزمن) وقد قصد بالجنس تلك الاستعدادات الأولية لمجموعة إنسانية محددة بأصل واحد سواء منها النفسية أم العضوية. ما يعني أن الصفات التي تشكلت عبر التاريخ تحولت لِما يشبه الغرائز الفطرية," فالعمل الأدبي في نظره ليس مجرد لعبة من ألعاب الخيال، أو عمل من ابداع الخيال، وليس نزوة منعزلة من نزوات الشيطان, وليس إلهاما حدسيا, ينزل من أعلى, بل الأدب عملية تسجيل لما يحدث في الواقع الاجتماعي, وانعكاس لعقلية معينة "[6] ليس هذا فحسب بل يرى تين " أن الفنان العبقري هو الذي يتعامل مع فنه بعمق يقترب أكثر من عصره, أما الفنان العادي فلا يُعبِّر عن عصره ولا يُمثله. وهو يرى أن الفن تعبير جمعي عن المجتمع وتجسيد لروح العصر "[7] .

من ذلك يتضح لنا أنَ الاهتمام بالمضامين الفكرية والأخلاقية والموقف من الصراع الطبقي في المجتمع هو محور اهتمام النظرية الاجتماعية في الأدب, وهذا كان من أهم الأسباب التي دعت منظري الفكر الاشتراكي من تبني هذه النظرية وخاصة (كارل ماركس), " الذي منح النظرية الاجتماعية بعدها المنهجي وعمقها الفكري"[8] و(كارل ماركس) بالأساس قد وضع نظرية في الاقتصاد السياسي بمشاركة مهمة من (فريدريك إنجلز) في منتصف القرن التاسع عشر . وكان لهذين المفكرين آراء عامة في الأدب والفنون تنطلق من الأساس الفكري الذي بنيا عليه نظريتهما في التفسير المادي للتاريخ[9].

**ثانياً: مفهوم الوطن (القبيلة) في الثقافة العربية قبل الإسلام**

تُعد الثقافة البدوية أحدى مرتكزات الثقافة لدى العرب قبل الإسلام، وتعد المكون الأساس في البنية المجتمعية العربيّة؛ ونجد أن هذه الثقافة بقيت مؤثرة في كل جوانب الحياة العربية سواء قبل الإسلام أو بعده. ولا شك أن القيم البدوية أدت دورًا أساسيًا في تشكيل قيم المجتمع العربيّ لدرجة أن معظم هذه القيم مازال باقيا ومؤثرا في حياتنا المجتمعية إلى عصرنا الحالي، رغم أن الإسلام قد شجب معظم هذه القيم وأوضح أن العصبية القبلية والثأر والغزو والسلب بغير حق كلها من أمور الجاهلية. والثقافة البدوية والجاهلية ليست مجرد ظواهر سلوكية فردية؛ وإنما هي أنماط من الحياة, وعادات, وتقاليد انتشرت بين العرب قبل الإسلام.

---

[3] سوسيولوجيا الأدب, روبير إسكاربيت ت: آمال أنطوان عرموني:23

[4] علم اجتماع الأدب, المرجع السابق :88

[5] مناهج النقد الأدبي , إنريك أندرسون إمبرت , ت : الطاهر أحمد مكي :99

[6] علم اجتماع الأدب , محمد سعيد فرح و مصطفى خلف عبد الجواد :79

[7] نفسه :79

[8] دليل النظرية النقدية المعاصرة مناهج وتيارات, بسّام قطّوس :63

[9] ينظر: دليل النظرية النقدية المعاصرة مناهج وتيارات, بسّام قطّوس: 63

و القبيلة هي عماد حياة الإنسان في البادية هي وطنه, قال الزمخشري في معجمه: "**وطن: كلٌّ يحب وطنه وأوطانه وموطنه ومَواطنه**"[10] نجد أن العلاَّمة الزمخشري يذكر كلمة وطن وهي دلالة على موضع سكن الإنسان ويذكر أيضا كلمة أوطان ومواطن, ونستدل من خلالها على أن الإنسان العربي كان متعدد المواطن وذلك بحسب سكن قبيلته, لأن من عادة القبائل العربية التنقل وعدم الاستقرار في موضع واحد محدد بعينه. ولذا يمكن لنا أن نعد القبيلة هي الوطن الحقيقي للإنسان العربي , وأما مواطنه فمتعددة بحسب موضع سكن قبيلته.

وتعد القبيلة من الأهمية بمكان, إذ بها يحتمي العربي في الدفاع عن نفسه, وعرضه, وعن ماله, حيث لا قوانين في البوادي تؤدب المعتدين ولا سجون يسجن فيها الخارجون عن نظام المجتمع, فكل ما هنالك (عصبية) تأخذ بالحق, و(أعراف) يجب ان تطاع. وأما لفظة (قبيلة) فلم ترد في معجم أساس البلاغة, ولعل السبب كون المؤلف ليس من العرب ولا ينتمي إلى قبيلة معينة كما ينتمي العرب إلى قبائلهم ويفتخرون بهذا الانتماء. أما صاحب معجم (لسان العرب) فقد ذكر هذه اللفظة مع تفصيل في معناها, يقول :" **القبيلة واحدة قبائل الرأس وهي القطع المشعوب بعضها إلى بعض تصل بها الشؤون وبها سميت قبائل العرب, الواحدة قبيلة.. وقبائل الشجرة : أغصانها. والقبيلة من الناس: بنو أب واحد ... الشعب أكبر من القبيلة, ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ**"[11] والرابط الذي يربط شمل القبيلة ويجمع شتاتها هو (النسب). ويفسر ذلك بارتباط ابناء القبيلة كلهم بنسب واحد, وبدم واحد ينحدر منه افراد القبيلة في اعتقادهم. قال الزمخشري في معجمه: " **نسب: له نسب في بني فلان, وتفاخروا بالأنساب, وفلان حسيب نسيب: ذو حسب ونسب.. قال الشماخ**[12] **: (من البسيط):**

**فالحَقْ بِبَجْلة ناسِبهم وكن معهم حتى يعيروك مجدا غير موطود**[13]

كلمة (نسب) تعد علامة لفظية متواضع عليها في العربية وهي ترمز إلى تلك العلاقة العائلية التي تربط الفرد بعائلته. و" للنسب عند العرب شأن كبير , ولا يزال العربي يقيم له وزناً, ولا سيما عرب البادية. فعلى نسب المرء في البادية تقوم حقوق الإنسان بل حياته في الغالب, فنسب الإنسان , هو الذي يحميه , وهو الذي يحافظ على حقوقه ويردع الظالم عنه ويأخذ حق المظلوم منه"[14] ولهذا نجد أهل الانساب يرجعون نسب كل قبيلة الى جد أعلى. ثم يرجعون انساب الجدود أي اجداد القبائل الى أجداد أقدم. وهكذا حتى يصلوا إلى جدي العرب قحطان وعدنان.

والقبيلة في عرف علماء الأنساب جماعة من أب واحد. فالقبيلة: هي جماعة من الناس تضم طوائف متعددة اصغر منها, وهي تنتمي كلها إلى أصل واحد, وجذر راسخ, ولها نسب مشترك يتصل بأب واحد هو أبعد الآباء, هو الجد الأكبر للقبيلة. وهو الرابط الذي يربط بين ابناء القبيلة ويجمع شملها, ويوحد بين أفرادها.[15]

---

[10] أساس البلاغة, أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري, تحقيق: محمد باسل عيون السود, ط2, دار الكتب العلمية, بيروت , لبنان, 2010م, ج2, :343.

[11] معجم لسان العرب, العلامة ابن منظور, تحقيق: مجدي فتحي السيد, منشورات دار التوفيقية للتراث, القاهرة, مصر, 2009م, ج11 :21 .

[12] الشمّأخ بن ضرار بن حرملة بن سنان بن أمامة بن عَمْرو بن جِحَاش بن بَجَالة بن مازِن بن ثعلبة بن سَعْد بن ذُبْيان. المازني الذبياني الغطفاني شاعر مخضرم شهد الجاهلية والإسلام، عدّه البعض من طبقة لبيد بن ربيعة. ويقال أنه كان أرجز الناس على البديهة (وتعني على الأرجح أن لدية سرعة بديهة في تأليف الأراجيز). أسلم وحسن إسلامه. ينظر: تاريخ الأدب العربي, كارل بروكلمان, ترجمة: د. عبد الحليم النجار, ط5, دار المعارف , القاهرة, مصر, ج1 :170.

[13] معجم أساس البلاغة, العلامة جار الله الزمخشري, مصدر سابق, ج2: 265.

[14] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, د. جواد علي, منشورات جامعة بغداد, ط2, 1993م, ج1: 466.

[15] ينظر المرجع السابق: 509.

والنسب عندهم هو القومية ورمز المجتمع السياسي في البادية. والقبيلة هي الحكومة الوحيدة التي يفقهها العربي. حيث لا يشاهد حكومة أخرى فوقها. وما تقرره حكومته ملزم لكل أفرادها. هذه النظرة الخاصة بتعريف القبيلة , هي التي حملت أهل الأنساب والاخبار على اطلاق لفظة (القبيلة) على الحضر (أهل المدر) أيضا. مع أنهم استقروا وأقاموا. فقريش عندهم قبيلة, والأوس والخزرج قبيلة, وثقيف قبيلة, ذلك لأن هؤلاء الناس وإن تحضروا واستقروا وأقاموا وتركوا الحياة البدوية, إلا أنهم بقوا على الرغم من ذلك على مذهب (أهل الوبر).[16] ويرى بروكلمان : "أن العرب أخذوا النظام القبلي من اليهود القدامى, حيث كان سائداً عندهم وهو عند اليهود لا يجمع الشعب كله بل يمتد إلى الأسر القريبة الضاربة خيامها جنباً إلى جنب"[17] .

وابناء القبيلة هم أخوة من دم واحد يسري في اجسامهم جميعا مادامت القبيلة حية باقية. ووحدة الدم هذه هي الرابط الذي يجمع شمل القبيلة, وهي صلة الرحم, والعصبة والحكومة الصحيحة التي يجب أن تطاع. قال الزمخشري في معجمه: " **عصب القومُ بفلان: أحاطوا به . ووجدتُهم عاصبين به, ومنه العَصَبة** "[18]

والعربي مثل بقية الساميين لم يفهم الدولة إلا انها دولة القبيلة, وهي دولة صلة الرحم التي تربط الأسرة القبلية, دولة العظم واللحم والدم. أي دولة النسب. فالنسب هو الذي يربط بين أفراد الدولة ويجمع شملهم, ودينها هو دين الدولة عندهم, وقانونها المقرر هو المعترف به, وعلى هذا القانون يعامل الإنسان. وبالعرف القبلي تسير الامور. فالأحكام القبلية أحكام نافذة , تنفذ في القبيلة. و تصير سُنة للقبيلة يمكن تسميتها ب (سنة الأولين). و وطن القبيلة هو بالطبع مضارب القبيلة, حيث تكون, وحيثما يصل نفوذها إليه. فهو يتقلص ويتوسع بحسب نفوذ القبيلة.[19]

إن اسماء القبائل لا تعني بالضرورة أنها أسماء اجداد حقيقيين عاشوا وماتوا. فبينها اسماء مواضع؛ مثل غسان. وبينها اسماء أصنام مثل (بنو سعد العشيرة ) . وبينهما أسماء أحلاف مثل (تنوخ) . وبينها اسماء نعوت وألقاب. إلى آخر ذلك من أسماء قبائل وصلت الى علم الأنساب, فأوجدوا لها معانٍ وعدَّوها اسماء رجال حقيقيين, تزوجوا ونسلوا منهم. في العادة القبائل التي تتألف من عمائر وما وراء العمائر من اقسام, فاذا ذكرت القبيلة انصرف الذهن الى الآلاف من البيوت تجتمع تحت اسم تلك القبيلة .[20]

ويرى علماء اللغة العربية ان هناك تجمعات هي في نظرهم أكبر حجما من القبيلة أطلقوا عليها (الشعوب) فذكروا أن الشعوب فوق القبائل. ومثاله بنو قحطان, وبنو عدنان، فكل منهما شعبا. وما دونهما قبائل. وذهب بعض منهم إلى أن (الشعوب) للعجم، فإن الشعوب بالنسبة لهم، مثل القبائل العربية، ومنه قيل الذي يتعصب للعجم (شعوبي)، قال الزمخشري في معجمه: " **والعرب شعوب. وفلان شعوبي ومن الشعوبية وهم الذين يصغرون شأن العرب ولا يرون لهم فضلاً على غيرهم**"[21] . ولفظة (شعوبي وشعوبية) من الألفاظ الدالة على ثقافة موجهة من سلطة تجاه طبقة معينة من المفكرين والكتاب في تاريخ الثقافة العربية, وهي تارة محقة في هذا الوصف, وأخرى يراد بها تسقيط الخصوم, وهذه الألفاظ والمفردات

---

[16] ينظر , المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, د. جواد علي: 466.

[17] تاريخ الشعوب الإسلامية, كارل بروكلمان, تحقيق: نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي, ط5, دار العلم للملايين, بيروت, 1968م : 17 .

[18] أساس البلاغة, جار الله الزمخشري, مصدر سابق , ج1 : 655.

[19] ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, د. جواد علي: ج1, 510-511.

[20] نهاية الأرب في أنساب العرب, أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله القلقشندي (ت821هـ), تحقيق: علي الخاقاني, ط1, مطبعة النجاح, بغداد, العراق, 1958م: ١٣.

(4) معجم أساس البلاغة, العلامة الزمخشري, مصدر سابق, ج1 : 509.

مازالت إلى يومنا هذا توجه إلى كل من ينتقد أي شخصية تراثية, وهذا من باب تقديس التراث كله بسلبياته وإيجابياته حتى لا يصل مستوى النقد للسلطة الحاكمة في كل عصر من عصور الدول العربية.

ويرى بعض الكتاب أن لفظة (الشعب) هي للعرب والعجم. قال ابن منظور: " **الشعب القبيلة العظيمة؛ وقيل: الحيُّ العظيم يتشعب من القبيلة؛ وقيل: هي القبيلة نفسُها, والجمع شعوب. والشعب : أبو القبائل الذي ينتسبون إليه أي يجمعهم وَيَضُمُّهُمْ.. والشعب ما تَشَعَّب من قبائل العرب والعجم**"[22] . وفي أمثال العرب : "**شَعَبَت قومي شَعَوب** "[23] والذي عليه أكثر علماء الأنساب، أن الشعب أكبر من القبيلة، وأن الشعب أبو القبائل الذي ينتسبون إليه ، أي يجمعهم ويضمهم"[24].

ويلي الشعب في اصطلاح أهل النسب: القبيلة، ثم العمارة، ثم البطن. قال الزمخشري : " **نزلوا في بطن الوادي, وهم في بطن مكة. وبطنه من أكرم بطون العرب**"[25]. قال ابن منظور: "**البطن دون القبيلة , وقيل : هو دون الفخذ وفوق العِمارة**"[26] ثم الفخذ. قال الزمخشري: " **هذا فَخِذي و فَخَذي بالتذكير أي أدنى عشيرتي. وفَخَذَ قبيلته : جعلهم فخذا فخذا..**"[27] ثم الفصيلة. و"**فصيلة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون, وقيل : أقرب آبائه إليه .. جاء في التنزيل :(وفصيلته التي تُؤيهِ)**[28]. **وقال الليث: الفصيلة فخذ الرجل من قومه الذين هو منهم**"[29] فالشعب الأبعد مثل عدنان وقحطان، والقبيلة مثل ربيعة ومضر، والعمارة مثل قريش وكنانة، والبطن مثل بني عبد مناف وبني مخزوم، ومثل بني هاشم، وبني أمية، والفصيلة مثل بني أبي طالب وبني العباس. وجعل ابن الكلبي مرتبة بين الفخذ والفصيلة هي مرتبة العشيرة وهي رهط الرجل[30].

وقسَّم النويري النظام القبلي عند العرب إلى عشر طبقات. وابتدأ ب (الجذم) وهو الأصل: وهو قحطان وعدنان، والطبقة الأولى. ثم الجماهير، وهي الطبقة الثانية، ثم الطبقة الثالثة: الشعوب، الطبقة الرابعة القبيلة، وهي التي دون الشعب تجمع العمائر، ثم الطبقة الخامسة : العمائر، وهي التي دون القبائل، وتجمع البطون، ثم الطبقة السادسة: البطون، وهي التي تجمع الأفخاذ، والطبقة السابعة: الأفخاذ. وهي أصغر من البطن والفخذ تجمع العشائر. والطبقة الثامنة : العشائر، واحدها عشيرة، وهم الذين يتعاقلون إلى أربعة آباء. والطبقة التاسعة : الفصائل، واحدها فصيلة ، وهم أهل بيت الرجل وخاصته، والطبقة العاشرة: الرهط، وهم الرجل وأسرته"[31].

---

[22] معجم لسان العرب, مصدر سابق, ج7 :133 .

[23] مجمع الأمثال , أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, ط1, المكتبة العصرية , بيروت, لبنان, 2011م, ج2 :149.

[24] ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, جواد علي، مرجع سابق,ج4: 318-319.

[25] معجم أساس البلاغة, العلامة الزمخشري, مصدر سابق, ج1 :66.

[26] معجم لسان العرب, مصدر سابق, ج1 : 532.

[27] المرجع السابق, ج2 :11.

[28] سورة المعارج , آية:13.

[29] معجم لسان العرب, مصدر سابق, ج10 :302.

[30] ينظر بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الآلوسي, تحقيق: محمد بهجة الأثري, ط2, ج 3، : ١٨٧- ١٨٩. العقد الفريد، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي(ت328هـ), تحقيق: مفيد محمد قميحة, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 1983م, ج٣، : ٢٨٣.

[31] نهاية الأرب، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله القلقشندي (ت821هـ), تحقيق: علي الخاقاني, ط1, مطبعة النجاح, بغداد, العراق, 1958م, ج ٢: ٢٨٨ - ٢٨٥.

إنَّ الأنساب العربية، في رأي العلماء، تنقسم إلى طبقات، وهذه الطبقات تتدرج في النسب، من الأعلى حتى الأدنى. وأكثر الأقوال تجمع على أنها ست طبقات، فقد ورد عن الزبير بن بكار أنها مرتبة على النحو الآتي: "شَعْب، وقبيلة، وعمارة، وبطن، وفخذ، وقيلة، فمضر شَعْب، وربيعة شَعْب، ومذحج شَعْب، وحمير شَعْب، وأشباههم. وإنما سميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها، وسميت القبائل لأن العمائر تقابلت عليها، والشَعْب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطون تجمع الأفخاذ، والأفخاذ تجمع الفصائل ، فأسد قبيلة, وكنانة قبيلة، وقريش عمارة ، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة "[32]. وقد رتب الثعالبي الطبقات ترتيبا مماثلا[33].

وهذا التقسيم مأخوذ من خلق الإنسان، بدءا من أعلى الجسم حتى أدناه، فالشَعْب أعظم الطبقات مشتق من شعب الرأس، ثم القبيلة من قبلته، وهي ما يستقبل منه ، ثم العمارة، وهي الصدر، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة، وهي الساق. ونقل ابن رشيق عن بعض العلماء: " أن الحي أعظم من الجميع ، الاشتمال هذا الاسم على جملة الإنسان"[34]، غير أن العلماء لا يعدون الحي في الطبقات، في أكثر أقوالهم.

ويبدو أن ثمة طبقات أخرى وردت عن الذين بحثوا في الأنساب ، إذ روي عن ابن الكلبي طبقة سابعة جعلها بين الفخذ والفصيلة، وهي العشيرة, " قال ابن الكلبي: الشعب أكبر من القبيلة, ثم العمارة, ثم البطن, ثم الفخذ, ثم العشيرة, ثم الفصيلة "[35]. وحينما تحدث النويري[36] عن أنساب العرب بني تقسيمه للطبقات على عشر منها، فأصبحت لديه على النحو الآتي: الجذم، وهي أعلى طبقة، أو هي الأصل كقحطان وعدنان، ثم الجماهير[37] ، والشَعْب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والعشيرة، والفصيلة، والرهط[38]. فالطبقات التي أضيفت عنده هي الجذم، والجماهير، والرهط [39].

وإذا أردنا أن ندقق في هذه المصطلحات، استنادا إلى ورودها في الشعر الجاهلي، فإننا لا نجدها بمدلولاتها كما وردت عن العلماء السابقين، وإنما نجد دلالة بعضها يرادف دلالة بعضها الآخر. فضلا عن أن بعض تلك الطبقات لا تكاد تذكر في الشعر، كالجماهير والفخذ والفصيلة.[40]

قال الزمخشري في معجمه: " **جمهر: هذا قول الجمهور, وشهد ذلك الجماهير, وجمهر الأشياء : جمعها ؛ قال ذو الرمة[41] : (من الطويل)**

---

[32] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده, الحسن بن رشيق القيرواني(ت356هـ) , تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, ط5, دار الجيل, بيروت , لبنان, 1981م, ج2: ١٩١.

[33] فقه اللغة, أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت430هـ). تحقيق: د. ياسين الأيوبي, ط2, المكتبة العصرية للطباعة والنشر, بيروت وصيدا, لبنان, 2000م : ٢٢٩.

[34] العمدة , مرجع سابق : ١٩١.

[35] العقد الفريد, أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ), تحقيق: د. مفيد محمد قميحة, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, 1983م, ج٣ : 289.

[36] هو شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري النويري، وهو مؤرخ كبير ولقب النويري نسبة إلى نُوَيْرة من قرى محافظة بني سويف بمصر، التي ولد بها سنة 677هـ. وهو عالم بحاث غزير الاطلاع، كان ذكي بالفطرة، وله نظم يسير ونثر جيد. يكفي شهاب الدين النويري فخراً أنه مصنف (نهاية الأرب في فنون الأدب)، وهو كتاب كبير جداً، ويعد كتاب موسوعي متعدد الموضوعات, منها التاريخ والأنساب والأدب و ما وصل إليه العلم عند العرب لحد عصره. (ينظر: كتاب الأعلام , خير الدين الزركلي, مرجع سابق, ج1: 165.)

[37] الجماهير : جمع جمهور، وجمهور الناس: جمعهم. ينظر أساس البلاغة, مصدر سابق, ج1 : 150.

[38] نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢/ ٢٧٧- 285. والرهط : الرجل وأسرته .

[39] ينظر: الإنسان في الشعر الجاهلي. د. عبد الغني أحمد زيتوني, ط1, إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ, العين, دولة الإمارات العربية المتحدة, 2001م : 19.

[40] ينظر المرجع السابق : 20.

**أبَى عزَّ قَوْمي أن تُخافَ ظَعائني صباحاً وأضعاف العديد المَجَمْهَرِ"**[42]

كما أن لفظة (الشعب) ذكرت في القرآن الكريم، على أنها أعم وأشمل من القبيلة، على نحو قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)**[43] في حين أن الشعر الجاهلي استعمل القبيلة بدلا من الشعب ، من دون أن يميز بدقة بينهما، في كثير من الأحيان، كما لم يميز أيضا بين الحي والقبيلة والعمارة في كثير من مواضعه، فاستعملت هذه الألفاظ للدلالة على مجموعات من العرب، تنتمي إلى جد واحد، وتتسمى باسمه.[44] ونجد برهان ذلك في قول الأخنس بن شهاب التغلبي:[45]

**لِكلِّ أُناسٍ من مَعَدٍّ عِمـارَةٌ عَرُوضُ إليها يَلْجَؤُونَ وجانِبُ**
**لُكَيْزٌ لها البَحْرَانِ والسِّيفُ كُلُّهُ وإنْ يأتِهَا بأسٌ منَ الهنْدِ كارِبُ**
**وغَسَّانُ حَيٌّ عِزُّهُمْ في سِوَاهُمُ يُجَالِدُ عَنْهمْ مِقْنَبٌ وكتَائِبٌ**
**وبَهْرَاءُ حَيٌّ قد عَلِمْنا مكانَهمْ لهم شَرَكٌ حَوْلَ الرُّصَافَةِ لاَحِبُ**[46]

وشرح ابن الأنباري العمارة، في البيت الأول، بأنها الحي العظيم الذي يقوم بنفسه[47].

وزهير بن أبي سلمى لا يدع لنا مجالا للشك في أنه يقصد بالعشيرة عبساً وذبيان، وهما قبيلتان تتفرعان من أصل واحد هو غطفان[48]:

**سعى ساعيا غَيظِ بني مُرَّةَ بعدما تبزَّلَ مـا بيــن العشـــيرةِ بالــدَّمِ**

وينطبق الأمر، في عدم تحديد المصطلحات، على الرهط أيضا، ذلك أن معنى الرهط هو: الرجل وأسرته، كما شرح في تقسيم الطبقات، ومن العسير أن نجد هذا المدلول واضحاً دائماً في الشعر الجاهلي [49]. كما في قول خالد بن نضلة[50]:

**لَـعَـمْـري لَـرَهْطُ الْمَرْءِ خيرٌ بَقِيّـة عَلَيْهِ وَإِن عالوا بِهِ كل مركب**

---

(41) ذو الرمة هو: غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث، ذو الرمة. شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره. قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. وكان شديد القصر، دميماً، يضرب لونه إلى السواد. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين. وكان مقيماً بالبادية، يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيراً. وامتاز بإجادة التشبيه. قال جرير: لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته: (ما بال عينك منها الماء ينسكب) لكان أشعر الناس. ينظر: تاريخ الأدب العربي , ت: عمر فروخ, ج1, ط8, دار العلم للملايين, بيروت, لبنان, 2006م : 677.

(42) أساس البلاغة, العلامة الزمخشري, مصدر سابق , ج1 :150.

(43) سورة الحجرات ، آية 13.

(44) ينظر الإنسان في الشعر الجاهلي, مرجع سابق : 20.

(45) الأخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدي بن معاوية بن عمرو بن غنم التغلبي.
كان شاعراً من رؤساء قومه وقد شهد حرب البسوس وكان شاعر قومه فيها، وسمي (فارس العصا) وقد أخطأ صاحب القاموس حينما عدّه من الصحابة إذ ربما اشتبه عليه الأخنس بن شريق .وهو صاحب القصيدة المختارة في المفضليات. ينظر : البيان والتبين, للجاحظ, , مرجع سابق, ج3 :66 .

(46) الإنسان في الشعر الجاهلي, مرجع سابق:20.

(47) المفضليات بشرح ابن الأنباري, المفضل بن محمد الضبي شرح: القاسم بن محمد بشار الأنباري, تحقيق: كارلس يعقوب لايل, منشورات مطبعة الآباء اليسوعيين, بيروت, 1920م : ص415.

(48) الإنسان في الشعر الجاهلي, مرجع سابق: 21.

(49) ينظر المرجع السابق : 22.

(50) خالد من بني أسد، ذكر الأصمعي أنه كان معاصرة لعبد يغوث بن وقاص. ينظر: البيان والتبيين, مرجع سابق, ج3 : 250 و 296.

**من الْجَانِب الْأَقْصَى وَإِن كَانَ ذَا غنى جزيل وَلم يُخْبِرك مثل مجرب**

فالشاعر لا يشير إلى أسرته فقط، وإنما يشير إلى العشيرة والقوم أيضا، وهذا ينطبق على كثير من الشعراء حين يذكرون الرهط في أشعارهم . وقال العلامة ابن منظور: " **رهط الرجل : قومه وقبيلته.. وقيل: الرهط ما دون العشرة من الرجال لا يكون بينهم امرأة. قال تعالى : (وكان في المدينة تسعة رهطٍ).. وقال الليث: يجمع الرهط من الرجال , أرهطاً, والعدد أرهطةٌ.. وشاهد الأرهط قول رؤية: ( هو الذَّليلُ نفراً في أَرْهُطَهْ)..**"[51] ويمكن القول أن ذلك التقسيم الواضح لطبقات العرب لم يرد في الشعر الجاهلي، وخاصة على تلك الشاكلة من الترتيب الدقيق . ولعل سبب ذلك يرجع إلى أن الشاعر كان يتوسع أحيانا في استخدام معاني ألفاظ الطبقات فيأتي ببعضها دالا على بعضها الآخر.. ومهما يكن من أمر حول مراتب القبيلة وطبقات العرب فإنه يدل على مدى اهتمام الإنسان العربي بنسبه، وتمسكه به تمسكا شديدا، وحفظ تسلسله في شجرة الأسرة، ارتفاعا إلى الجدود مهما علوا، وبعد عهدهم. وقد عكس هذا الاهتمام بالنسب في أكثر أشعاره معبرا بها عن تلك العلاقة الوثيقة التي تشد أبناء القبيلة بعضهم إلى بعض كما يشد الجسم أعضاءه كلها في وحدة لا تفصم عراها .[52]

وللحفاظ على أن تكون القبيلة قوية متماسكة, فقد سعى أبناؤها إلى الحرص على صراحة النسب وصفائه ونقائه، وقد صرح بعض الشعراء بهذا الفكر, الذي يعبر عن ثقافة قارة في نظام المجتمع القبلي. لأنه يعد ذلك من صراحة نسبه هو، وهذا ما جعله يفخر بنفسه وبقبيلته مفخرة عظيمة، كما هو شأن ساعدة بن جؤية الهذلي[53]:

**إِنّـي يـا أُمَيمَ لَيَجتَديـني بِنُصحَتِهِ المُحَسَّبُ وَالدَخيلُ**
**وَلا نَسَبٌ سَمِعتُ بِهِ قَلاني أُخالِطُهُ أُمَيمَ وَلا خَليلُ**
**وَإِنّـي لِابنُ أَقوامٍ زِنادي زَواخِرُ وَالغُصونُ لَها أُصولُ**

فساعدة عربي صميم ذو نسب ثابت صريح، لا يخالطه عرق آخر، لذلك يعتمد على مشورته أصلاء النسب ودخلاؤه، لوثوقهم بشرف محتده ونقاء عنصره، وكيف لا؟ وهو ينتسب إلى قبيلة هذيل ذات الجذور الراسخة والفروع الثابتة .

وكلما كانت القبيلة متبدية ضاربة في القفر، بعيدة عن الأمم الأعجمية المجاورة للجزيرة العربية، وكان اعتمادها في معاشها على إبلها وغزوها، استطاعت الحفاظ على نسبها من الاختلاط، وبقيت صريحة لا تشوبها شائبة . وقد نبه ابن خلدون على هذا الأمر حين قال: "واعتبر ذلك في مضر من قريش، وكنانة، وثقيف، وبني أسد، وهذيل، ومن جاورهم من خزاعة، لما كانوا أهل شظف، ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع، وبعدوا من أرياف الشام والعراق، ومعادن الأدم والحبوب، كيف كانت أنسابهم صريحة محفوظة، لم يدخلها اختلاط، ولا عُرف فيها شوب"[54].

من هنا كان للحسب والنسب قيمتهما عند العرب, فهم يسعون دائما للحفاظ على نقاء نسبهم, لأنه موضع فخرهم, وهذه من الثقافات القارة في البيئة العربية القبلية .

أما إذا ما تم الطعن في الأنساب والتشكيك في صراحتها , فهو يعد عندهم من أسوأ المثالب التي تنال من نفس الإنسان العربي، لما فيها، من زراية بأصله وشرف قومه.

وقد ألجأت الحروب وظروف العيش القاسية القبيلة، أحياناً، إلى أن ترتبط القبيلة مع غيرها بأحلاف، تقوم على المعاهدة والتناصر والتآزر، فيكون لأولئك الحلفاء ما للقبيلة من حقوق، وعليهم ما عليها. وقد ذكر العلامة الزمخشري في معجمه :

---

[51] معجم لسان العرب, العلامة ابن منظور, مصدر سابق, ج5 :304.

[52] ينظر: الإنسان في الشعر الجاهلي, مرجع سابق :22.

[53] شرح أشعار الهذليين: 1144/3. وورد أن ساعدة أحد بني كعب بن كاهل من هذيل، شاعر جاهلي محسن، انظر المؤتلف والمختلف: ص١١٣.

[54] المقدمة , عبد الرحمن بن خلدون, ط1 دار فروس للنشر والتوزيع, القاهرة, مصر, 2016م : ١44.

" بينهم حِلْفٌ أي عهد. وهم حلفاء بني فلان وأحلافهم. وهذا حليفي. وهو حليف الندى.. قال ساعدة بن العجلان الهذلي: (من الكامل)

ولحفته منها حليفاً نصْلُهُ خَذِمٌ كحَد الرمح ليس بمنْزَعِ"[55]

وقد بين الشعر أن العلاقة بين المتحالفين تضحى علاقة متينة، وتغدو في بعض الحالات كعلاقة النسب، وقد عبر عن ذلك حاجز بن عوف الأزدي، وكان قد دخل في حلف بني مخزوم من قريش[56]: (من البسيط)

قَوْمي سَلامانُ إما كنتِ سائِلةً وفي قريشٍ كريُم الحِلْفِ والنَّسَبِ

إنّي متى أَدْعُ مخزومًا تَرَيْ عُنُقاً لا يَرعَشونَ لِضَربِ القومِ من كَثَبِ

فقد أصبح بحلفه لبني مخزوم حليف قريش كلها، ولم يعد يخشى أعداءه ، فحلفاؤه عند أول استغاثة بهم، يهرعون لنصرته أبطالا صناديد .

ومن طبيعة الأمور أن تكون القبائل المتقاربة في النسب أسرع إلى التحالف بعضها مع بعض من القبائل بعيدة النسب. ومثال ذلك ما حدث في حلف (المُطيَّبين) بين بطون عدة من قريش[57] . وكان التحالف غالبا ما يقوم حول أمر ما، فإذا انقضت الحاجة إلى هذا الأمر انفض الحلفاء، وعادت كل قبيلة إلى ما كانت عليه قبل التحالف.

ونادرا ما يحدث أن يستمر التحالف أمداً طويلا، وتنطوي فيه القبائل على اسم واحد يجمعها، كالذي رواه أهل الأخبار عن حلف (تنوخ) الذي تحالفت فيه أحياء من فهم بن تيم، وقبيص بن معد، وإياد، ولخم، وأصبحت تعرف باسم (تنوخ)[58].

وأصغر وحدة من وحدات القبيلة هي: الأسرة، أي البيت. فهي نواة القبيلة وبذرتها، ومن نموها ظهرت شجرة القبيلة, التي يختلف حجمها وتختلف كثرة أغصانها وفروعها باختلاف منبت الشجرة والظروف والعوامل التي أثرت في تكوينها. من بذرة جيدة ومن تربة صالحة وماء كاف. والبيت هو نواة القبيلة عند العرب، وهو نواة القبيلة عند كل الشعوب ومنها الشعوب السامية القبلية. بل هو نواة المجتمع في كل مجتمع إنساني.[59]

والقبائل مثل الدول، أنماط ودرجات. منها قبائل نشطة تعتمد على نفسها في الدفاع عن كيانها، ومنها قبائل أقل غيرها شأنا وقوة, فتتحالف مع غيرها للدفاع عن نفسها، لتكون من الحلف كتلة قبلية مهابة. فالقبائل الصغيرة ليست لها قدرة على الدفاع عن حياضها لوحدها، لذلك تركن إلى التحالف مع قبائل أخرى أقوى منها لتحفظ بذلك على وجودها.[60]

والقبائل القوية هي القبائل الكثيرة العدد والموارد. وإذا ترأسها سادات ذوو كفاءة وقدرة، هابتها القبائل الأخرى، وسادت على غيرها، وكونت منها ومن القبائل التي تستولي عليها مملكة، كالذي فعلته كندة. ولم يورد العلماء شروطا في الحد الأدنى أو الحد الأكبر للقبيلة. وذلك من ناحية عدد العشائر والبطون والأفخاذ، فلم تعثر على حد معين إذا بلغته جماعة من الناس وجب إطلاق لفظة (قبيلة) عليها. بل نجد علماء النسب يطلقونها أحيانا على بطون وأفخاذ فيقولون: قبائل قريش، بينما هي

---

[55] معجم أساس البلاغة, مصدر سابق,ج1 :208 .

[56] الأغاني, مرجع سابق, ج13 :147.

[57] السيرة النبوية, ابن هشام (ت213 أو 218هـ), تحقيق: عمر عبد السلام تدمري, ط3, دار الكتاب العربي, بيروت, لبنان, 1990م, : ج1 : 132.

[58] الاشتقاق, ابن دريد, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, نسخة إلكترونية : 542 ، و تاريخ ابن الأثير :196.

[59] ينظر المجتمع العربي القديم, د. محمد الخطيب, ط2, منشورات دار علاء الدين, دمشق, سوريا, 2008 :48 .

[60] ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, جواد علي, مرجع سابق, ج4: 320.

في الواقع عمائر أو أرهاط وبطون. ويقال للقبائل التي تستقل بنفسها وتستغني عن غيرها (الأرحي)[61]. قال الزمخشري : " **وهؤلاء رحى من أرحاء العرب؛ وهي قبائل لا تنتجع ولا تبرح مكانها**"[62] . وعرفت القبيلة التي لا تنضم إلى أحد بـ (الجمرة). قال الزمخشري : " **تجمَّر بنو فلان: تجمعوا**" [63] , و ذُكِرَ: " أنها قبيلة تقاتل جماعة قبائل. وقيل هي القبيلة يكون فيها ثلثمائة فارس أو نحوها"[64] وكل قبيل انضموا فصاروا يدا واحدة ولم يحالفوا غيرهم، فهم جمرة. وقيل : الجمرة كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحدا ولا ينضمون إلى أحد.. تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل كما صبرت عبس لقبائل قيس.[65]

**مراتب المجتمع القبلي:**

مجتمع القبيلة مكون من طبقات وفئات وفقاً لمعطيات الثروة والسلطة. وهما مرتكزان في تقسيم مجتمع القبيلة إلى طبقات, تتمايز فيما بينها تمايزاً اجتماعياً بين أفراد القبيلة الواحدة . وهذا الأمر أدى إلى انقسام أبنائها الأحرار إلى أغنياء وفقراء، فضلاً عن الانقسام الذي كان قائماً بين الأحرار و"العبيد". ولذا انقسم المجتمع العربي في الجاهلية ثلاث طبقات نتيجة الوضع الاقتصادي والمكانة الاجتماعية، وكانت كل طبقة تتكون من طبقات أخرى داخلية. وفيما يأتي أهم هذه الطبقات في المجتمع القبلي.[66]

**سيد القبيلة أو (الرئيس):**

لكل قبيلة سيد أو شيخ وهو كالملك في مملكته، ويعد الشخص المسؤول عن أتباعه في السلم والحرب. يقصده أصحاب الحاجات من أبناء القبيلة. كما يحق لهذا الرئيس أن يجمع شمل عدة قبائل ويترأسها وينصب نفسه ملكا عليها كالذي فعله ملوك كندة وغيرهم من أكثر سادات قبائل العرب الذين عرفوا كيف يستغلون إمكانات قبيلتهم، سخروها في سبيل الحصول على الملك. ويذكر علماء اللغة أن السيد يطلق على الرب والمالك الشريف والفاضل والكريم والحليم والزوج والمقدم والرئيس.[67] **قال الزمخشري في معجمه : " ساد قومه يسودهم سوداً.. وسوده قومه , وهو سيد مسوَّد.. قال الأعشى:(من الطويل)**

**تناهيتم عنا وقد كان منكم أساوِدَ صرعى لم يُوسَّد قتيلها" [68]**

وسيد القبيلة هو رئيسها. تقول العرب: فلان سيدنا، أي رئيسنا الذي نعظمه، كما وردت كلمة زعيم بمعنى سيد القوم والجمع زعماء. ووردت الزعامة بمعنى الشرف والرئاسة على القوم وحظ السيد من المغنم"[69].

وسيد القبيلة، أو شيخ القبيلة رئيس بالعصبية، أي أن القبيلة هي التي تختاره سيدا لها, وهو من أفرادها تقدمه للرئاسة عليها ثم تطيعه بإرادتها. والمفروض أن يكون شيخ القبيلة، كما تدل كلمة (شيخ) كبيرا في السن. فإذا كان صغير السن ثم اتفق

---

[61] ينظر لسان العرب, مصدر سابق, ج5 :208.

[62] أساس البلاغة, ج1 :344.

[63] أساس البلاغة , ج1 :147.

[64] لسان العرب, مصدر سابق, ج2 : 412.

[65] ينظر المصدر السابق : 412-413.

[66] ينظر المجتمع الغربي القديم, مرجع ساق : 48.

[67] ينظر المرجع السابق : 49.

[68] أساس البلاغة, مصدر سابق, ج1 : 480-481 .

[69] معجم تاج العروس من جواهر القاموس، العلامة محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي, طبعة الكويت, ج٨ : ٣٢٩.

أن كانت له حكمة وشجاعة وثروة مضافة إلى شرف أصل قدمته قبيلته للرئاسة.[70] ومصداق ذلك قول الخنساء ترثي أخاها صخراً: (من المتقارب)[71]

**أعينيَّ جُودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخرِ النَّدى**
**ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تبكيان الفتى السَّيدا**
**طويل النجاد رفيع العما دِ ساد عشيرته أمردا**
**يحمِّلُه القوم ما عالَهم وإن كان أصغرهم مَولِدا**

والمطلوب ممن يترأس قبيلته أن يتحلى بخلال حميدة وصفات طيبة تعد حيوية في – بناء المجتمع البدوي. وقد عددها الجاحظ فقال: "كان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال : السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان". وقد سئل قيس بن عاصم: بما سودك قومك؟ فأجاب: " ببذل الندى وكف الأذى ونصرة المولى وتعجيل القرى". وقد رويت الأخبار الكثيرة تمتدح سخاء الرؤساء وخاصة في أوقات الضيق والشدة، وهذا أمر مهم في المحيط البدوي المعرض العاديات الدهر ونكبات الطبيعة.[72]

ولا بد للرئيس من عصبية داخل العشيرة وقرابة تشد أزره وتعينه على تنفيذ مطالبه، " وذلك أن الرئاسة لا تكون إلا بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية.. فلا بد في الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية غالبة لعصبيتهم .. لأن كل عصبية منهم إذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم أقروا بالإذعان والاتباع"[73] ومثل هذا السند يعتمد على القوة العددية وعلى الحسب والشرف. " وأشراف الناس : هم الذين نالوا الشرف والسؤدد بين قومهم, فسادوهم"[74]. ومثل هذا الشرف لا يتوقف على فعال الخير فقط، بل على نقاوة الدم أيضا. وعلى هذا فلا تتم الرئاسة إلى الصليبية (أبناء القبيلة الصرحاء بالنسب) أما الموالي والحلفاء فلا مجال لهم للحصول عليها.[75]

ومنصب رئاسة القبيلة يحمِّل الرئيس واجبات تعد من ضروريات المنصب. إذ عليه أن يعين الضعفاء ويواسي المنكوبين وينزل في بيته الضيوف الوافدين. وقد يساعده في ذلك بعض رجالات العشيرة المقربين. وعليه أن يدير المناقشات في مجلس العشيرة، ويتولى المفاوضات والاتفاقيات والتحالفات مع القبائل الأُخر. ولكن لم يكن لديه سلطة قانونية لإقرار رأي دون آخر إلا بقدر ما له من قوة في الشخصية ومن حجة في الاقناع. وعليه أن يفض المنازعات ويحكم عن الخلافات إذا لجأ إليه المتخاصمون، كما قد يلجأ المتخاصمون إلى غيره من الحكام والعارفة الذين اشتهروا بعد التهم ودقة حكمهم سواء في العشيرة أو خارجها. [76]

والأعراف القبلية القديمة تعطي لسيد القبيلة حقوقا وامتيازات، ففي الوقت الذي يقع على عاتقه عدد من الواجبات التي تعد من ضروريات منصبه, فله حقوق وامتيازات خاصة. فمن حقوق سيد القبيلة من الغنائم التي تغنمها القبيلة في حروبها مع القبائل الأخرى:

---

[70] ينظر: المجتمع العربي القديم :49

[71] كتاب الأغاني, ج15 :60.

[72] ينظر: المجتمع العربي القديم, د. محمد الخطيب, مرجع سابق: .50

[73] مقدمة ابن خلدون , عبد الرحمن بن خلدون, تحقيق: محمود عبد الرحمن, مرجع سابق:147.

[74] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, مرجع سابق, ج4 :559.

[75] ينظر المجتمع العربي القديم :53.

[76] ينظر المرجع السابق : 54.

**١- المرباع:**

وهو حق سيد القبيلة في الحصول على ربع جميع الغنيمة. ولا شك أن المرباع كان يشكل موردا ماليا مهما لسيد . القبيلة، يعينه في الوفاء بالتزاماته المالية المتعددة. قال الزمخشري : " هذا مربعهم وربوعهم ورباعهم.. -ومن الأمثال- (ما له هبع ولا ربع) .. من الشعر, قال : (من الرجز)

**وعلبة نازعتها رِباعي وعلبة عند مقيل الراعي."**[77]

**٢- الصفايا:** وهو ما يصطفيه سيد القبيلة لنفسه من الغنيمة, قال الزمخشري : " **وأخذ الرئيس صفيّه من المغنم**"[78]. من فرس أو سلاح أو جارية أو غير ذلك من الأموال قبل القسمة كالسيف اللهذم ، والفرس العتيق، والدرع الحصينة، والشيء النادر.[79]

**٣- النشيطة:** وهي أنه كان للرئيس أن ينشط عند قسمة المتاع فيأخذ العلق النفيس يراده إذا استعلاه. وقيل أن النشيطة هي ما أصاب الرئيس في الطريق قبل أن يصير إلى بيضة القوم.

**4- الفضول:** وهي فضول المقاسم، فقد يتبقى بعد القسمة شيء لا تمكن قسمته، فيؤول إلى سيد القبيلة، كالؤلؤة والسيف والدرع والبيضة والجارية، وغير ذلك[80]، وجمع أحد شعراء الجاهلية وهو عبد الله بن غنمة يخاطب بسطام بن قيس .

وهو يذكر هذه الحقوق في بيت واحد من الشعر :[81]

**لك المرباع منها والصفايا وحكم والنشيطة والفضول**

وإذا كان من حق شيخ القبيلة أن يكون حكمه نافذا على جميع أفراد قبيلته إلى جانب امتيازاته التي ذكرناها، فقد كان من النادر أن يستبد في حكمه وفي رئاسته للقبيلة، لأنه كان مضطراً إلى مبايعة أهل الرأي في القبيلة. فسيد القبيلة لم يكن يتمتع بسلطة إصدار قواعد قانونية ملزمة، فلم تكن له في الأغلب، سلطة تشريعية أو سلطة تنفيذية ذات بال. وكذلك لم يكن يتمتع بسلطة قضائية. فالقضاء كان بين يدي حكام يختارهم الخصوم، ولم تكن قراراتهم تنفذ بالقوة ، بل كان المحكوم ضده يقوم بتنفيذها طواعية. وكان من الممكن الالتجاء إلى سيد القبيلة بوصفه حكما، لكنه في هذه الحالة لم يكن يتمتع بأكثر مما يتمتع به غيره من الحكام، فلم تكن له سلطة تنفيذ قراراته جبرا. وكانت سلطته تعتمد في الدرجة الأولى على ما يتمتع به من مكانة وما يحظى به من احترام وتبجيل.[82]

**عناصر القبيلة:**

1- النسب:

النسب أمر عرفي أكثر منه أمراً طبيعياً، وأن الذي يجمع بعض أفراد القبيلة إلى بعض إنما هو الشعور بالصلة وفائدة التعاون على تحصيل الرزق ورد العدو ونيل الحكم حيثما يكثر عدد القبيلة وتزداد قوتها، هذا الشعور في سبيل هذه الأهداف يسمى: (العصبية)[83]. قال الزمخشري : " **تَنَسَّبَ إليّ : ادعى أنه نسيبي, قال الشاعر : (من الطويل)**

**وإن القريب من تقرب نفسه لعمر أبيك الخيرِ لا من تنسَّبا "**[84]

---

(77) معجم أساس البلاغة, مصدر سابق, ج1 :331.

(78) معجم أساس البلاغة, مصدر سابق , ج1 : 552.

(79) المجتمع العربي القديم, مرجع سابق :53.

(80) ينظر: المجتمع العربي القديم, مرجع سابق:53.

(1) ينظر معجم لسان العرب, مصدر سابق, ج7 : 399. (صفا)

(82) ينظر : المجتمع العربي القديم, 53.

(83) العرب في تاريخهم وحضارتهم، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م : ١٨-١٧.

و تضم القبيلة عدة أصناف من أبنائها:

1- صرحاء النسب: وهم طبقة الأشراف وهم يتفاوتون في الشرف بتفاوت بيوتهم في الحسب. قال الزمخشري : " **عربي صريح من عرب صرحاء : غير هجناء. ونسب صريح**"[85]

فالنسب الشريف الصريح إذا أضيفت إليه الخلال الحميدة تحقق معنى الحسب، وكلاهما من شروط الرئاسة والسؤدد في مجتمع شبه الجزيرة العربية، وقد فطن (القرشيون) إلى ذلك من وقت مبكر فبجانب نسبهم الصريح الشريف حرصوا أشد ما يكون الحرص على اكتساب الخلال الحميدة والسجايا الرفيعة والأخلاق العالية والصفات الممتازة, وهذه الصفات هي التي تسمو بالإنسان العربي, ويتفاخر العرب فيما بينهم بها.[86]

2- الحلفاء: قال الزمخشري: " **بينهم حِلف أي عهد. وهم حُلفاء بني فلان وأحلافُهم. وهذا حليفي, وهو حليف الندى**"[87] وأفراد هذه الطبقة من المجتمع العربي القديم (الجاهلي) لم تكن تربطهم بأبناء القبيلة رابطة الدم , إنما لجأوا إلى القبيلة على أساس الموالاة بالجوار أو الحلف.[88] قال الزمخشري :" **وفلان محالف لفلان : لازم له.. ورجل حليف اللسان: يوافق صاحبه على ما يريد لحدته.. قال ساعدة بن العجلان الهذلي: (من الكامل)**

**ولحفته منها حليفا نصله خذِم كحد الرمح ليس بمنزع** "[89]

وكان للأحلاف شأن خطير في حياة الجاهليين. والحلف في اصطلاح علماء اللغة العهد بين القوم، والحلف والمحالفة: المعاهدة، وأصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد، ثم عبر به عن كل يمين. والمحالفة أن يحلف كل للآخر. وهو المعاهدة على التعاضد والمساعدة والاتفاق. وتحالفوا بمعنى تعاهدوا وعقدوا اتفاق وعهد، وتآخوا على العمل يدا واحدة. وقد يتحالف فريقان من قبيلتين مختلفتين ويتعايشان ثم يصبحا مع الأيام كأنهما من قبيلة واحدة ، ويدخل نسب الفريق الأضعف في نسب الفريق الأقوى [90].

3- العبيد المسترقون: وهم أدنى طبقات المجتمع, وهم في الغالب أسرى الحروب والغارات. وكان بعضهم نتيجة الشراء من أفريقيا أو الولادة أو الدين أو القمار , ويعتبرون ملكا يباع ويشترى. ويعهد إليهم القيام بالأعمال اليدوية التي يأنف منها العرب, وهي طبقة محرومة ولا تملك الحرية الاجتماعية ومثقلة بتنفيذ واجبات السادة.[91]

4- الاستلحاق: قال الزمخشري: " **هو من اللحق: من اللاحقين, وألحقته به .. وهو ملحق: ملصق دعيّ**"[92] والاستلحاق، هو أن يستحلق إنسان شخصا فيلحقه بنسبه، ويجعله في حمايته ورعايته، أي من عصبته. وقد يكون الرجل صريحا معروف النسب، وقد يكون أسيراً أو مولى أو عبدا ، فيسميه مولاه وينسبه إليه. ومن هذا القبيل ما كان يفعله أهل الجاهلية من استلحاق أبناء الإماء والبغايا والمولودين من زواج الرهط بهم. إذ أن المجتمع العربي في الجاهلية كانت به

---

[84] معجم أساس البلاغة, ج2 : 265.

[85] المصدر السابق, ج1 : 542 .

[86] ينظر المجتمع العربي القديم :54.

[87] معجم أساس البلاغة , ج1 : 209.

[88] ينظر تاريخ العرب (في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية) , رشيد الجميلي, ط1, المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي, بيروت, لبنان, 2014م :198.

4) أساس البلاغة , ج1 :208.

[90] العرب في تاريخهم وحضارتهم , د. عمر فروخ :67.

[91] ينظر المصدر السابق : 199.

[92] معجم أساس البلاغة, ج2 :162.

أنواع من الزيجات لم يقرها الإسلام بعد انتشار الرسالة السماوية بينهم. كما كان لأهل الجاهلية إماء بغايا وكان سادتهن يلمون بهن، فإذا جاءت إحداهن بولد ربما ادعاه سيدها والزاني، فيقع خلاف بينهما على الولد. فإن مات السيد ولم يستلحقه ثم استلحقه ورثته بعده, لحق بأبيه. وفي ورثته خلاف[93].

5- الدعي: ويقال للمستلحق (الدعي). والدعي المنسوب إلى غير أبيه. و(الدعوة) في النسب أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته وقد كانوا يفعلونه فنهي عنه, وجعل الولد للفراش. ومن هذا القبيل المتبنى الذي تبناه رجل فدعاه ابنه ونسبه إلى غيره. ويكون بحكم الدعي من الناحية القانونية في حكم النسب الصحيح والبنوة الشرعية عند الجاهليين، لذلك كان الجاهليون يورثون الأبناء[94] . ويقال للدعي: المخضرم. قال الزمخشري: " **رجل مُخَضرم : دَعيّ**"[95] . وقال صاحب اللسان هو (ناقص الحسب) وقيل هو من لا يعرف أبوه أو أبواه ورجل مخضرم أسود وأبوه أبيض، أو هو من ولدته السراري.[96] وذلك من الذم للمرء.

ويقال رجل (خلط ملط)، بمعنى: مختلط النسب. وذكر أن الملط الذي لا يعرف له نسب ولا أب. " **قال الأصمعي: الملِط الذي لا يعرف له نسب ولا أب**"[97] وأما خلط، فإما بمعنى المختلط النسب، وإما عني ولد الزنا. والخليط المشارك في حقوق الملك كالشرب والطريق ونحو ذلك. ومنه الحديث: الشريك أولى من الخليط، والخليط أولى من الجار. والشريك المشارك في الشيوع. والخليط القوم الذين أمرهم واحد[98].

6- الجوار: قال الزمخشري: " **هو حسن الجُوَارِ والجِوَارِ. وهم جيرتي, . ومن استجارك فأجره**"[99] وللجوار صلة كبيرة بالنسب وبالعصبية عند العرب، فقد يتوثق الجوار، وتتقوى أواصره فيصير نسبا، فيدخل عندئذ نسب (المستجير) بنسب (المجير)، ويصير وكأنه نسب واحد، هو نسب (المجير). وقد اندمجت ب (الجوار) أنساب كثيرة من القبائل الصغيرة، أو القبائل التي تشعر بخوف من قبيلة أخرى أكبر منها، فتضطر إلى طلب (جوار) قبيلة أكبر منها، لتدافع عنها، ولتكون بذلك قوة رادعة تحمي حياتها وتحافظ على نفسها ومالها بهذا الجوار. فإذا استجار شخص آخر، أو استجارت قبيلة أخرى، اكتسب هذا الجوار صيغة قانونية ، ووجب على المجير المحافظة على حق الجوار. وإلا نزلت السبة بالمجير، وازدراه الناس.[100]

ويكتسب الجوار حكمه بإعلان الطرفين قبولهم له على الملأ، في أماكن الاجتماع في الغالب، مثل مواسم الحج في الجاهلية وأماكن تعبدهم أو في أسواق العرب مثل سوق عكاظ. فإذا أعلن ذلك، وعلم الناس الخبر، صار المجار في ذمة المجير، وترتب على المجير أن يكون مسؤولا عن كل ما يقع على المستجير وما يصدر منه.[101]

وقد ورد في القرآن الكريم: ( **وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ**)[102]

---

[93] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, د. جواد علي، ج 4: ٣٥٨.

[94] الأغاني. ج١٧: 94.

[95] معجم أساس البلاغة, ج1 :253.

[96] ينظر معجم لسان العرب, ج4 :144. (خضرم)

[97] لسان العرب, مصدر سابق , ج13 :192.

[98] ينظر: تاج العروس, مرجع سابق, ج 5: ١٣٢ (خلط)، و ج 5 : 226 ، (ملط).

[99] أساس البلاغة, ج1 :155.

[100] ينظر المجتمع العربي القديم : 57.

[101] ينظر المرجع السابق : 58

[102] سورة النساء: الآية 36.

وكان سيد العشيرة إذا أجار عليها إنسانا لم يخفروه. وإذا دخل قبته أو دار حول خيمته، ونادى بالجوار والأمان صار آمنا. وقد وجب على صاحب القبة أو الخباء أو الخيمة حمايته، حتى وإن كان من سائر أبناء القبيلة.[103]. ومن عاذ بشخص استجار به. ومن هذا القبيل استجارة أهل الجاهلية بالجن. "قيل: إن أهل الجاهلية كانوا إذا نزلت رفقة منهم في واد ، قالت: نعوذ بعزيز هذا الوادي من مردة الجن وسفهائهم. أي نلوذ به ونستجير"[104].

7- الموالي: الولي والعصبة والحليف وابن العم والأخ والابن وابن الأخت والعصبات كلهم والجار والشريك. فاللفظة إذن معان عديدة، أهمها بالنسبة لنا، أن المولى: العبد، أي المملوك الذي يمن عليه صاحبه، بأن يفك رقبته، فيعتقه، ويصير المملوك بذلك مولى لعاتقه. والموالي أنواع. موالي عتق وموالى عتاقه، وهو الرقيق أو الأسير الذي تفك رقبته بعتقه.[105] والموالي مهما كانوا :عربا أو عجما، كانوا أقل شأنا في مجتمعهم من الأحرار. إذ نظر إليهم على أنهم دون العرب الأحرار في المكانة. ولهذا فقلما زوج الأحرار بناتهم للموالي. حتى ضرب بهم المثل في القلة والذلة ولا سيما إذا كان الإنسان مولى موالي. فقيل: (مولى الموالي)، قيل ذلك في الإسلام أيضا[106].

## المبحث الثاني

## ظواهر مجتمعية في الحياة القبلية:

يذكُرُ الزمخشريّ في كتابه "أساس البلاغة" بعض الأمثلة والشواهد التي تشير إلى الثقافة العربي البدوية في العصر الجاهليّ؛ فيما يتعلق بالحياة اليومية. كما مر بنا سابقا. ومن بين هذه الشواهد ما يتعلق بالوطن واطلاله, لما له من أثر نفسي في حياة الإنسان العربي, وكذلك الناقة أو الإبل, لما لها من أهمية كبرى في حياة الإنسان العربي في العصر الجاهلي. منها:

1- لعل من الأمور التي شكلت جزئية كبيرة ومهمة في حياة الإنسان العربي في العصر الجاهلي, هي انتقال قبيلته من موطن لآخر بحسب الظروف التي تواجهها, ولذلك لطالما كان يحنُّ لموطنه الذي قضى فيه ردحا غير يسير من عمره, وهو لمَّا يحن إليها يزورها ويشاهد أطلالها, ولذا شكل الطلل علامة بارزة في الثقافة العربية في العصر الجاهلي. وقد وردت لفظة (طلل) في معجم أساس البلاغة : **"طلل: أرض مطلولة"** [107]. ولمصطلح (الطلل) معانٍ متعددة في لغة العرب , وما يهمنا في هذا الموضع هو ما يتعلق بآثار الديار. **"والطلل : ما شخص من آثار الديار, والرسم ما كان لاصقا بالأرض, وقيل : طلل كل شيء شخصه, وجمع ذلك أطلال وطلول .. وطلل الدار يقال هو موضع من صحنها يهيأ لمجلس أهلها"**[108]. وكثيراً ما تغنى الشاعر العربي القديم بتلك الآثار, وكان من لوازم صحة بناء القصيدة العربية القديمة هي أن تبدأ بذكر الأطلال. ولعل من أشهر مقدمات القصائد العربية القديمة التي تغنت بالأطلال, هي مقدمة القصيدة المطولة لطرفة بن العبد. يقول(من الطويل) :

**لخولة أطلالٌ ببرقةِ ثهمدِ تلوحُ كباقي الوَشمِ في ظاهرِ اليَدِ** [109]

---

[103] ينظر المجتمع العربي القديم :57.

[104] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, د. جواد علي، ج4: 361-360

[105] ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام , ج4 : 369

[106] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, د. جواد علي , ج4 :369.

[107] أساس البلاغة, ج1 : 612.

[108] معجم لسان العرب ج8 :219.

[109] شرح المعلقات العشرة, مرجع سابق : 133.

2- تعد الناقة من أهم ما يمتلكه العربي في حياته فهي ماله الذي به يتحرك ويتنقل ويبيع ويشتري, وغيرها من متطلبات الحياة اليومية. وقد جاء في المعجم بعض المصطلحات التي يمكن أن نعدها دلالة سوسيولوجية على ثقافة الإنسان العربي قبل الإسلام. جاء في المعجم :"**استأتت الناقة:** أي اغتلمت وطلبت أن تؤتى"[110].. ومما جاء في المعجم أيضاً بما يتعلق بالأبل والنوق: "**تأبَّل إبلًا وتغنَّم غنمًا:** أي اتخذها؛ ويُقال: **فلانٌ حسن الإبالة؛ والإبالة أي السياسة والقيام على ماله؛ لأن مال العرب الإبل**"[111]. وهنا يشير الزمخشريّ إلى أنّ للإبل عند الإنسان العربي في العصر الجاهليّ مكانة كبيرة تضاهي مكانة المال؛ وبالفعل فقد كان العرب في ذلك الوقت يقيسون عز القبيلة بعدد الإبل التي في حوزتها، وكلما كثر عدد الإبل صار للقبيلة شأن عظيم، وكانت تُسمَّى بالمال؛ فكانت كلمة المال إذا أُطلِقَت في كلام العرب أُرِيدَ بها الإبل[112].

ولا شكَّ أنّ الإبل من أعظم الحيوانات نفعًا للبدويّ، يتخذ من شعرها ووبرها خيمته، وهي أداة انتقاله, وكانوا يصفون الناقة القوية التي تقطع الفيافي وتجتاز عمق الصحراء والجريئة على السفر بالجسرة, قال الأعشى في وصف الناقة : (من المتقارب)

**قطَعتُ إذا خَبَّ رَيــعانُها بدَوسَرةٍ جَسرَةٍ كالـفَــدَان**[113] .

**وقال امرؤ القيس : (من الطويل)**

**فـدَعْـهـا وسَـلِّ الهَـمَّ عنكَ بجَسـرَةٍ ذَمُـولٍ إذا صَـامَ المَنَّهـارُ وهَـجَّـرَا**[114].

والناقة نقد البدوي الذي يتبادل السلع بوساطته، وهي فوق ذلك وحدة القياس لمَهْر العروس، وديَّة القتيل، ووحدة المَيْسِر أو القمار والتضحية والفداء، والإبل رفيقة البدويّ، وصنو نفسه، وحاضنته التي تُرضِعه فيشرب لبنها بدل الماء، ويجعل طعامه من لحمها، وكساءه من جلدها ويحوك خيمته من وبرها، ويتخذ روثها وقودًا.

2- ومن مظاهر الحياة في العصر الجاهلي هي أخذ الإتاوة في الأسوق التي تسيطر عليها قبائل معينة من ذلك ما ذكره الزمخشري في معجمه: "**قال جابر بن حنيّ التغلبيّ:** (من الطويل)

**وفي كل أسواقِ العراقِ إتاوةٌ وفي كلِ ما باعَ امرؤ مَكْسِ دِرهمِ** "[115]

يذكر الزمخشريّ هذا البيت الشعريّ الذي ينقل لنا صورة من صور الاستغلال التي كانت تمارسه القبائل القوية تجاه الآخرين , وربما أيضاً تجاه أبناء القبيلة نفسها. وهذه الثقافة الجاهلية التي كانت منتشرة كنوع من الضرائب التي تفرض على الناس, وتكون عبارة عما يُسمَّى بالمَكْس؛ أي الضريبة أو الإتاوة التي كانت تُفرَض على الباعة في أسواق العراق, "معنى هذا أن الناس كانوا يدفعون إتاوة في أسواق العراق , يدفعون عن كل ما يبيعونه مكساً هو درهم"[116] وهذه إحدى أنواع الضرائب التي كانت عند العرب في الجاهليَّة لغرض تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

---

[110] أساس البلاغة, جار الله الزمخشريّ , ج1 : 19

[111] أساس البلاغة, الزمخشريّ ، مصدر سابق، ج1 :18.

[112] ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, ج5 :609 و ج7 : 415.

(3) أساس البلاغة, الزمخشري, ج1 :138

(4) المصدر السابق : 139.

[115] الزمخشريّ، أساس البلاغة، مصدر سابق : 20.

[116] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, ج7 :373.

3- كان للعرب في الجاهلية عادات وأعراف كثيرة تشكل بمجموعها نظاما ثقافيا قارا عندهم متواضع عليه بينهم, منه ما يتعلق بمحاولاتهم لكشف حوادث المستقبل أو ما يتعلق بتحديد خياراتهم المستقبلية وما ينون القيام به. ومن هذه الثقافات هي : (الاستقسام بالأزلام). **وجاء في المعجم: "استقسموا بالأزلام وهي القداح، والزلم والقلم واحد"**[117]. ذكر الزمخشريّ معنى كلمة الأزلام في هذا الشاهد، وهي من طرق التنبؤ بالمستقبل, وتعد من المظاهر الثقافية البارزة في العصر الجاهليّ، وشاعت بين العرب، "وقد عرَّف أهل الأخبار (الأزلام) : أنها السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها. وعرَّفوا (الزلم) : أنه السهم , وأنه القدح"[118] إذ كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا سفرًا أو تجارةً أو نكاحاً أو اختلفوا في نسب أو أمر قتيل، وغير ذلك من الأمور العظيمة, جاؤوا إلى هبل وهو أعظم صنم لقريش، وهو بمكة، ومعهم مائة ألف درهم، فأعطوها صاحب القِداح حتى يحيلوها لهم، وكانت أزلامهم سبعة قداح محفوظة عند سادن الكعبة، وهي مستوية في المقدار وعليها أعلام وكتابة، قد كتب على واحد أمرني ربي، وعلى واحد منها نهاني ربي، وعلى واحد منكم، وعلى واحد من غيركم، وعلى واحد ملصق، وعلى واحد العقل، وعلى واحد غفل، أي ليس عليه شيء، فإذا أرادوا الوقوف على مستقبل الأمر الذي تصدوا له، ومعرفة عاقبته أخيرًا أم شرًا، استقسم لهم أمين القداح بقدحي الأمر والنهي، فإذا خرج قدح الأمر ائتمروا وباشروا، فيما تصدّوا له من حرب أو سفر أو زواج أو غير ذلك، وإن خرج قدح النهي أخروا ذلك العمل إلى سنة، فإذا انقضَت أعادوا الاستقسام مرة أخرى، وهكذا في المنازعة في النسب وفي دية المقتول، وقد حرّم الله تعالى الاستقسام من جملة ما حُرِّمَ.[119]

4- من المظاهر السلبية والمنكرة التي كانت عند العرب في الجاهلية , هي عملية وأد البنات, وهذه الثقافة السلبية بالرغم من شيوعها عند بعض العرب في الجاهلية لكنها تشكل عادة خطيرة, وهي جريمة منكرة بحق الإنسانية, وقد جاء في المعجم دلالات تؤشر لهذه الثقافة المنكرة. قال: **"وأد ابنته؛ أي أثقلها بالتراب"**[120]: يذكر الزمخشريّ في هذا السياق وأد البنات، وهي من المظاهر الثقافية البدوية في العصر الجاهليّ، وتختلف الروايات في تحديد تاريخ ظهور هذه العادة بين العرب، وأول من سنّها فيهم، فهناك روايات تقول: إنها أول ما ظهرت في قبيلة تميم على يد زعيمهم قيس بن عاصم المنقريّ، ثم انتشرت في القبائل العربية الأخرى، وورد أن قبيلة تميم امتنعت عن دفع الإتاوة المقررة عليها للنعمان ابن المنذر ملك الحيرة، فأرسل إليهم النعمان جيشًا أكثره من بكر بن وائل، استاق النعم وسبى الذراري، فوفدت بنو تميم على النعمان وكلّموه في رد ذراريهم، فحكم النعمان بأن يُجعل الخيار في ذلك إلى النساء، فأي امرأة اختارت أباها ردت إليه وإن اختارت صاحبها "سابيها" تركت عليه، وكان بينهن ابنة لقيس بن عاصم، فاختارت سابيها، ورفضت العودة لأبيها، فنذر قيس أن لا تولد له ابنة إلا قتلها، ففشت هذه السنة في تميم والعرب كافة بعده. وهناك روايات أخرى تجعل قبيلة ربيعة أول من سنّ عادة الوأد بين العرب، ثم انتقلت منها إلى القبائل العربية الأخرى، وترجع سبب ظهورها في ربيعة إلى أن ابنة لزعيم هذه القبيلة سُبيت، ولما أراد والدها ردّها رفضت العودة إليه واختارت البقاء عند سابيها، فغضب والدها وسنّ لقومه عادة الوأد، ثم شاع في غيرهم من العرب.[121]

---

[117] الزمخشريّ، أساس البلاغة، مصدر سابق، : 420

[118] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام,ج6 : 776-777.

[119] ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, ج6 : 777.

[120] أساس البلاغة، مصدر سابق، ج2 : 316.

[121] ينظر تاريخ العرب (في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية) , مرجع سابق : 215-216.

أما عن أسباب الوأد؛ فهي عديدة فوأد البنات كان في الغالب السبب فيه الحميَّة والخوف من العار والسبي، حيث كان المولود له أنثى يغيب عن أبصار قومه من الحزن والحياء والعار الذي يلحقه بسبب البنت، ويفكر مهمومًا ومترددًا بين أن يُبقي على البنت حية على ما في ذلك من هوان، أم يدفنها حيةً في التراب فيئدها. ووأدت بعض القبائل بناتها أحيانًا بسبب الفقر كما كان شائعًا في تميم في سنوات الجدب[122]. ومنهم من كان يئد البنات من كانت منهن زرقاء أو شيماء أو برشاء أو كسحاء تشاؤمًا منهم بهذه الصفات[123].

5- يتميز العربي بالفطنة وسرعة البديهة, وهو ما يطلق عليه عندهم بالفراسة, وجاء في المعجم : "**وفرس؛ أي صار ذا رأيٍ وعلمٍ بالأمور، وفراستي في فلان الصلاح** [124]: وهنا يذكر الزمخشريّ الفراسة أو معرفة الأمور، ومن المعروف أنَّ العربيّ يعيش في بيئة صحراوية، محفوفة المخاطر والمصاعب، إلا أن الله زوّده بهبات فطرية ساعدته على التغلب على بيئته، والتعايش معها رغم مصاعبها ومجاهلها العديدة؛ ومنها الفراسة، والرجل الفارس هو العالم بالأمر والبصير به، "**والفِراسة , بالكسر : اسمٌ من التفرس, وهو التوسم.. والفراسة بالعين: إدراك الباطن**"[125]. "وتفرس فيه الشيء : توسمه .. وفي الحديث : ( اتقوا فِراسة المؤمن) . قال ابن الأثير: يقال بمعنيين: أحدهما ما دل ظاهرُ الحديثُ عليه, وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس, والثاني نوع من يُتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق, فتعرف به أحوال الناس" [126] . والفراسة تكون بالاستدلال بهيأة الإنسان وأشكاله وأقواله وأسلوبه. " وقد ذهب بعض المستشرقين إلى أنها من الكلمات المعربة التي أخذت من (بني إرم)"[127]. وعلم الفراسة أول ما نشأ كان عند البدو، في تقييم الخيول والتفاهم معها، دون أن تكون هنالك لغة مشتركة بينهم، ويبدو أن اقتصار العرب على الخيول في هذا الموضوع دونًا عن سائر الحيوانات كان بسبب قوة ذكائها، وكثرة الانتفاع بها وقت الطلب والهرب، وحُسن صورتها، وكمال استعدادها[128]. وكان العرب قبل الإسلام يستعينون بالفراسة لمعرفة أخلاق الأرقاء وأمزجتهم، وعلى الأخص النساء منهم، قبل أن يقوموا بشرائهنَّ. وتوجد في بعض الكتب مقاييس للجمال يستدل بها على السمات والبنية الخفية للرقيق في ضوء سحنة الوجه[129].

6- **غسق . يقولون: من الغسق إلى الفلق، وهو دخول أول الليل حين يختلط الظلام وقد غسق الليل يغسق وغسوقًا، وقال ابن قيس:**(من المديد)

**إن هذا الليل قد غسقا واشتكيت الهمّ والأرقا**[130]

---

[122] هاني أبو الرب، الوأد عند العرب قبل الإسلام وموقف الإسلام منه، مجلة دراسات، المجلد 36، العدد (1)، العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2009م، : 89

[123] ينظر : تاريخ العرب (في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية) , مرجع سابق : 207.

[124] أساس البلاغة, الزمخشريّ ، مصدر سابق، : 729

[125] تاج العروس , مصدر سابق, ج16: 328.

[126] معجم لسان العرب, العلامة ابن منظور, مصدر سابق, ج10 : 245.

[127] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, مرجع سابق, ج6: 774.

[128] ينظر: تجليات الثقافة الجاهلية في لغة السور المكية, منال يعقوب عبد الرحيم, رسالة ماجستير, جامعة نابلس, 2012م :200

[129] ينظر: الفراسة عند العرب, د. يوسف مراد، ترجمة وتحقيق: د. مراد وهبة, ط1, الهيأة المصرية العامة للكتاب, 1982م وكتاب "الفراسة" لفخر الدين الرازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م : 12

6) أساس البلاغة, الزمخشري: ج1 :702.

وهنا يأتي ذكر الغسق أو أول الليل، ومعروف ما لليل من أهمية وسلطة لدى البدويّ في العصر الجاهليّ؛ "فالطبيعة- بشكل عام- هي السلطة الوحيدة التي يتضاءل الإنسان البدوي أمام وجهها العابس، ويخضع أمام سلطانها ويعجز عن تفسيرها، فعلى الرغم من كونها وجودًا ماديًا، وعيانات قائمة تدركها الحواس، فإنه يظل يعتقد ويحدس بقوى خفية، وأسرار غامضة تكمن وراء ظواهرها. والليل من الظواهر الطبيعية التي تحرّك الوجدان، وتفتح أمام العقل آفاقًا واسعة للتأمل: الليل عقيب النهار ومبدؤه من غروب الشمس، والليل ظلام ، والليل اسم لكل ليلة وجمعها ليالٍ وليلة ليلاء وليلى طويلة شديدة صعبة وقيل هي أشد ليالي الشهر ظلمة. وبه سميت المرأة ليلى وقيل الليلاء ليلة ثلاثين تقول العرب هذه ليلة ليلاء إذا اشتدّت ظلمتها. والليل ظاهرة طبيعية صامتة احتلت مكانة مميزة في وجدان الجاهليّ وثقافته، وارتبطت بمجموعة من الأمور ترجمها عرب الجاهلية عبر أشعارهم وأمثالهم، وممارسات حياتهم. ومن أمثالهم التي وظّفوا الليل فيها قولهم: باتت بلية حرة، ويضرب للعفة والطهارة؛ إذ إن العرب تسمي الليلة تفترع فيها المرأة : ليلة شيباء، وتسمى الليلة التي لا يقدر الزوج فيها على افتضاضها : ليلة حرة، فيقال باتت فلانة بليلة حرة إذا لم يغلبها الزوج في أول ليلة، وباتت بليلة شيباء إذا غلبها فافتضها, يضربان للغالب والمغلوب. وارتبط الليل لديهم بالظلم، لما يستر ويُخفى من الخوف والريبة؛ فقالوا: أظلم من ليل، وضربوا المثل فيمن يتخبّط ولا يدري ما يقول؛ فقالوا: أخبط من حاطب ليل؛ لأن الذي يحتطب ليلًا يجمع كل شيء مما يحتاج إليه، وما لا يحتاج إليه, فلا يدري ما يجمع. كما اقترن الليل لديهم بالشر ؛ إذ ارتبط بإعداد العدة للحروب والغزو التي لا تخلو من شر ؛ فقالوا: أصبح ليل"[131].

7- **خمر: خامر الماء اللبن؛ أي خالطه، خمرّتها: ألبستها الخمار فتخمّرت واختمرت وهي حسنة الخمرة: وخمرت العجين والنبيذ فاختمر، وجعل فيه الخمرة والخمير والخميرة**[132]: ذكر الزمخشريّ في معجمه "الخمر"؛ التي تعد من الظواهر الثقافية والاجتماعية في الحياة الجاهلية، ومما يدل على ذلك تعدد أسماء الخمر في اللغة العربية؛ حيث "ذكرت في العربية أسماء كثيرة للخمر إما وفقًا لألوانها أو تأثيرها أو صفاتها، أو طرائق تحضيرها. وتعداد أسمائها والشواهد المرتبطة بها من الصعب حصرها، وهذه الأسماء تتغير معانيها لتحيل للأحوال أو أسماء الأشياء، فكل اسم مشتق إما من السياق أو الصفة التي تعطيها الخمر ؛ ومن أبرز أسمائها: الرحيق: وهو صفوة الخمر التي ليس فيها غش، والخندريس القديمة والحُمَيَّا: وهي الخمر الشديدة، والعقار: التي عاقرت الدَّن زمانًا، والقرقف، والكُمَيْت والصهباء[133].

ومما يجعلنا ندرك أهمية الخمر في الثقافة العربية قبل الإسلام، أن الشعراء العرب الأوائل كثيرا ما ذكروا النبيذ. لدرجة أنهم منحونا تراثًا كاملًا مليئًا بالقصائد المشهورة في الأدب العربي، ومن ذلك ما جادت به قريحة الشاعر الملك الضليل "إمرؤ القيس" ، وتعد واحدة من أقدم قصائد الخمريات الباقية للبشرية. وهذه القصيدة الملحمية المكونة من 81 بيتاً، هي مذكرات لمغامرات مؤلفها عبر الصحراء العربية، مع مقاطع تتراوح بين التفاخر وسرد المغامرات مع الخمر وشربها.[134]

---

[131] تجليات الثقافة الجاهلية في لُغة السور المكية، منال يعقوب عبد الرحيم يعقوب، مرجع سابق، ص 258- 260

[132] أساس البلاغة، الزمخشريّ، مصدر سابق، ج1 : 258

[133] ينظر: الخمر في الحياة الجاهلية وفي الشعر الجاهلي، بادية حسين حيدر, رسالة ماجستير, الجامعة الأمريكية في بيروت, 1986 : 171-195.

[134] ينظر: الشعر والشعراء , عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري, تحقيق: د. أحمد محمد شاكر, سلسلة ذخائر العرب, طبع الهيأة العامة لقصور الثقافة في مصر, القاهرة, 2017, ج1 :105-136.

8- **أجبل القوم وتجبلوا؛ أي صاروا في الجبال**[135]: لقد أثرت الطبيعة الخاصة بشبه الجزيرة العربية أيضًا في الثقافة العربية قبل الإسلام؛ وهي طبيعة جبلية بالطبع؛ إذ تبلغ مساحة شبه الجزيرة العربية ثلاثة ملايين كيلو مترًا مربعًا، وتعد بذلك أكبر شبه جزيرة في العالم[136]. وتتميز بلاد العرب بكثرة الجبال الجُرد، وتعد السلسلة الجبلية المستطيلة والممتدة من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب من أعلى المناطق ارتفاعًا، وتضُمُ هذه السلسلة قممًا يبلغ ارتفاعها أحيانًا ثلاثة آلاف متر فوق سطح البحر. وتعتبر سلسلة جبال السراة الممتدة من اليمن جنوبًا إلى أطراف بادية الشام شمالًا، من أعلى المناطق ارتفاعًا، وتبرز في ذُرا هذه السلسلة مراقب عالية، اتخذ منها الصعاليك والذؤبان ملاذًا يأوون إليه للاستراحة، أو الاستخفاء، ولم تكن هذه السلسلة فقط في الجزيرة العربية؛ بل ثمة سلاسل أُخر تُحيط بها من سائر أقسامها. ومن أهمية الجبال في الثقافة العربية نجد العرب قد استعاروا لفظ الجبل للمجد والشرف، ويطلق الجبل على سيد القوم وعالمهم[137].

وهكذا نجد أن مظاهر الحياة البدوية بدايةً من الناقة أو الإبل والخمر ومرورًا بالظواهر الاجتماعية البارزة مثل الاستقسام بالأزلام ووأد البنات وذكر الليل بمعانيه الغزيرة في الأدبيات الجاهلية، وانتهاءً بالطبيعة نفسها كالجبال مثلًا كونها من المظاهر الأساسيّة لحياة الإنسان العربي ثقافيا واجتماعيا, في شبه الجزيرة العربية، وهي كلها جميعًا تشير إلى أثر الثقافة البدوية وما تم إحصائه من مفردات وشواهد في معجم أساس البلاغة للزمخشريّ؛ والتي يمكن أن نعدها علامات للثقافة العربية في عصر ما قبل الإسلام

**نتائج البحث:**

1- يعد جار الله أبو القاسم محمود الزمخشري (ت538هـ) من المعجميين القدامى الذين أولوا للاستشهاد اللغوي أهمية كبيرة . وهو من المحافظين على البنية التقليدية للمعجم العربي, فقد جاء معجمه ثريا بالشعر والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف إلى جانب الأمثال والأقول المأثورة من كلام فصحاء العرب.

2- تصدرت الشواهد الشعرية على باقي الشواهد, إذ كان عدد الشواهد الشعرية (5682) شاهداً. والأمثال والأقوال المأثورة (1591) شاهداً. والآيات القرآنية (452) شاهداً. والحديث النبوي الشريف (450) شاهداً.

3- طغى الشعر الجاهلي في المعجم على باقي الشواهد الشعرية للأزمنة اللاحقة, كما كانت الشواهد الشعرية من العصر الأموي كثيرة , بينما قلت الشواهد الشعرية من العصر العباسي سوى أبيات فليلة لأبي نواس (ت 198هـ) وأبي تمام (ت 231هـ) وأبي الطيب المتنبي (354هـ) , وأهمل أشعار بشار بن برد (ت167هـ) وكذلك أشعار أبي العتاهية (ت211هـ) وأبي فراس الحمداني(ت 320هـ) .. وغيرهم من كبار شعراء العصر العباسي.

4- أهمل المؤلف كثيراً من الألفاظ العربية الحيَّة وغير المهجورة, بينما أثبتها من جاء بعده.

5- نستطيع أن نستخلص صورة من الحياة الثقافية والاجتماعية للقبيلة العربية من خلال ما نقله المؤلف من شواهد أدبية مختلفة لتعزيز معنى المفردة العربية.

6- تبين لنا أن المجتمع العربي القديم , بأنه مجتمع طبقي, ويضم عدد من الطبقات المجتمعية المختلفة والمتفاوتة بالحسب والمال والقوة.

7- تأثر الإنسان العربي القديم بالبيئة التي يعيش فيها, وكان للطبيعة الجغرافية هيمنة على حياته.

8- يتميز المجتمع القبلي بالبداوة, ويؤمن بالخرافة, وهو مجتمع ذكوري يقمع المرأة كما يقمع الرق والضعيف.

---

[135] أساس البلاغة، الزمخشريّ، مصدر سابق، ج1: 121.

[136] تاريخ العرب (مطوّل)، فيليب حتى، دار الكشاف للنشر والتوزيع، 1951م: 15.

[137] تجليات الثقافة الجاهلية في لُغة السور المكية، منال يعقوب عبد الرحيم يعقوب، مرجع سابق: 67.

**المصادر:**

1- القرآن الكريم

2- ابن منظور معجم لسان العرب, العلامة, تحقيق: مجدي فتحي السيد, منشورات دار التوفيقية للتراث, القاهرة, مصر, 2009م, ج11 .

3- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري, أساس البلاغة, تحقيق: محمد باسل عيون السود, ط2, دار الكتب العلمية, بيروت , لبنان, 2010م, ج2.

المراجع:

1- ابن هشام (ت213 أو 218هـ), السيرة النبوية, تحقيق: عمر عبد السلام تدمري, ط3, دار الكتاب العربي, بيروت, لبنان, 1990م.

2- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد, الاشتقاق, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, نسخة إلكترونية .

3- أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله القلقشندي (ت821هـ), نهاية الأرب في أنساب العرب, تحقيق: علي الخاقاني, ط1, مطبعة النجاح, بغداد, العراق, 1958م.

4- أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت 356هـ), تحقيق: د. إحسان عباس وآخرون, ط1, دار صادر, بيروت, 2002م.

5- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ, البيان والتبيين, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, ط2, مكتبة الخانجي, القاهرة, مصر, 1960.

6- أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي(ت328هـ), العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 1983م.

7- أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني, مجمع الأمثال , , تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, ط1, المكتبة العصرية , بيروت, لبنان, 2011م.

8- أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت430هـ) , فقه اللغة, تحقيق: د. ياسين الأيوبي, ط2, المكتبة العصرية للطباعة والنشر, بيروت وصيدا, لبنان, 2000م.

9- الحسن بن رشيق القيرواني(ت356هـ) , العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده, تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, ط5, دار الجيل, بيروت , لبنان, 1981م.

10- المفضل بن محمد الضبي , المفضليات بشرح ابن الأنباري, شرح: القاسم بن محمد بشار الأنباري, تحقيق: كارلس يعقوب لايل, منشورات مطبعة الآباء اليسوعيين, بيروت, 1920م.

11- إنريك أندرسون إمبرت , مناهج النقد الأدبي , ت : الطاهر أحمد مكي , دار العالم العربي , القاهرة ط1 , 2010م .

12- أنور عبد الحميد الموسى , علم اجتماع الأدب , دار النهضة العربية , بيروت , ط1 , 2011م .

13- بسّام قطّوس , دليل النظرية النقدية المعاصرة مناهج وتيارات , مكتبة العروبة للنشر, الكويت ,ط1 , 2004م.

14- د. جواد علي, المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, منشورات جامعة بغداد, ط2, 1993م.

15- خير الدين الزركلي , الأعلام, ط16, دار العلم للملايين, بيروت, لبنان, 2005م.

16- رشيد الجميلي, تاريخ العرب (في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية) , ط1, المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي, بيروت, لبنان, 2014م.

17- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733هـ), نهاية الأرب في فنون الأدب, تحقيق: إبراهيم شمس الدين, ط1 دار الكتب العلمية, بيروت, 2004م.
18- عبد الرحمن بن خلدون, المقدمة , ط1 دار فروس للنشر والتوزيع, القاهرة, مصر , 2016م .
19- د. عبد الغني أحمد زيتوني, الإنسان في الشعر الجاهلي, ط1, إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ, العين, دولة الإمارات العربية المتحدة, 2001م.
20- الشعر والشعراء , عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري, تحقيق: د. أحمد محمد شاكر , سلسلة ذخائر العرب, طبع الهيأة العامة لقصور الثقافة في مصر , القاهرة, 2017م .
21- عمر فروخ, تاريخ الأدب العربي , ج1, ط8, دار العلم للملايين, بيروت, لبنان, 2006م.
22- العرب في تاريخهم وحضارتهم، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
23- فيليب حتى، تاريخ العرب (مطوَّل)، دار الكشاف للنشر والتوزيع، 1951م.
24- كارل بروكلمان, تاريخ الأدب العربي, ترجمة: د. عبد الحليم النجار , ط5, دار المعارف , القاهرة, مصر , ج1.
25- تاريخ الشعوب الإسلامية, كارل بروكلمان, تحقيق: نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي, ط5, دار العلم للملايين, بيروت, 1968م .
26- العلامة محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي, معجم تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت, ج٨.
27- د. محمد الخطيب, المجتمع العربي القديم, ط2, منشورات دار علاء الدين, دمشق, سوريا, 2008.
28- محمد سعيد فرح و د مصطفى خلف عبد الجواد , علم اجتماع الأدب , دار المسيرة ,عمان, الأردن, ط1 , 2009م .
29- محمد فخر الدين الرازي (ت606هـ), الفراسة (دليلك إلى معرفة أخلاق الناس), تحقيق: مصطفى عاشور, ط1, مكتبة القرآن للطباعة والنشر , القاهرة, 1987م.
30- محمود شكري الآلوسي, بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق: محمد بهجة الأثري, ط2.
31- د.وليد قصاب , مناهج النقد الأدبي الحديث , دار الفكر ,دمشق, ط1, 2007م.
32- د. يوسف مراد، الفراسة عند العرب, ترجمة وتحقيق: د. مراد وهبة, ط1, الهيأة المصرية العامة للكتاب, 1982م.

**الرسائل الجامعية:**

1- بادية حسين حيدر, الخمر في الحياة الجاهلية وفي الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير, الجامعة الأمريكية في بيروت, 1986.
2- منال يعقوب عبد الرحيم, تجليات الثقافة الجاهلية في لغة السور المكية, رسالة ماجستير, جامعة نابلس, 2012م .

**المجلات :**

1- هاني أبو الرب، الوأد عند العرب قبل الإسلام وموقف الإسلام منه، مجلة دراسات، المجلد 36، العدد (1)، العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2009م.

**Sources:**

1- The Holy Quran
2- Ibn Manzur, Lexicon of Lisan Al-Arab, Al-Allamah, investigation: Magdy Fathi Al-Sayed, Dar Al-Tawfiqia Publications for Heritage, Cairo, Egypt, 2009, part 11.
3- Abu al-Qasim Jarallah Mahmoud bin Omar al-Zamakhshari, Asas al-Balaghah, investigation: Muhammad Basil Oyoun al-Soud, 2nd Edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 2010 AD, part 2.

**the reviewer**:

1- Ibn Hisham (d. 213 or 218 AH), The Biography of the Prophet, achieved by: Omar Abdel Salam Tadmuri, 3rd Edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Lebanon, 1990 AD.
2- Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan ibn Duraid, derivation, investigation: Abd al-Salam Muhammad Harun, electronic version.
3- Abu Al-Abbas Ahmed bin Ali bin Abdullah Al-Qalqashindi (d. 821 AH), Nihat Al-Arb fi Ansab Al-Arab, investigation: Ali Al-Khaqani, I 1, Al-Najah Press, Baghdad, Iraq, 1958 AD.
4- Abu Al-Faraj Ali Bin Al-Hussein Al-Isfahani (died 356 AH), investigation: Dr. Ihsan Abbas and others, Edition 1, Dar Sader, Beirut, 2002 AD.
5- Abu Othman Amr bin Bahr Al-Jahiz, Al-Bayan wa Al-Tabeen, achieved by: Abdel Salam Muhammad Haroun, 2nd Edition, Al-Khanji Library, Cairo, Egypt, 1960.
6- Abu Omar Shihab al-Din Ahmed bin Muhammad bin Abd Rabbo al-Andalusi (d. 328 AH), the unique contract, investigation: Mufeed Muhammad Qameha, i. 1, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1983 AD.
7- Abu al-Fadl Ahmad ibn Muhammad ibn Ahmad al-Maidani, Majma' al-Athal, Edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, i 1, al-Asriyya Library, Beirut, Lebanon, 2011.
8- Abu Mansour Abdul-Malik bin Muhammad al-Thaalbi (died 430 AH), jurisprudence of language, investigation: Dr. Yassin Al-Ayoubi, 2nd floor, Al-Asriya Library for Printing and Publishing, Beirut and Sidon, Lebanon, 2000 AD.
9- Al-Hassan bin Rashiq Al-Qayrawani (d. 356 AH), Al-Umda in the merits of poetry, its literature and criticism, investigated by: Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, 5th edition, Dar Al-Jeel, Beirut, Lebanon, 1981 AD.
10- Al-Mufaddal bin Muhammad Al-Dhabi, Al-Mufadiyaat with the explanation of Ibn Al-Anbari, explained by: Al-Qasim bin Muhammad Bashar Al-Anbari, investigation: Charles Jacob Lyle, publications of the Jesuit Fathers Press, Beirut, 1920 AD.
11- Enrique Anderson Imbert, Methods of Literary Criticism, T: Al-Taher Ahmed Makki, Dar Al-Alam Al-Arabi, Cairo, 1st edition, 2010
12- Anwar Abdel Hamid Al-Mousa, Sociology of Literature, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut, 1, 2011 AD.
13- Bassam Qatous, Guide to Contemporary Critical Theory, Curricula and Currents, Al-Urubah Library for Publishing, Kuwait, 1, 2004 AD.
14- - Dr. Jawad Ali, The Detailed History of the Arabs Before Islam, Baghdad University Publications, 2nd Edition, 1993 AD.
15- Khair Al-Din Al-Zarkali, Al-Alam, 16th Edition, House of Science for Millions, Beirut, Lebanon, 2005 AD.

16- Rasheed Al-Jumaili, History of the Arabs (in the Pre-Islamic Period and the Age of the Islamic Call), 1st Edition, Lebanese Academic Book Foundation, Beirut, Lebanon, 2014.
17- Shihab al-Din Ahmad ibn Abd al-Wahhab al-Nuwairi (d. 733 AH), The End of the Lord in the Arts of Literature, investigation: Ibrahim Shams al-Din, 1st Edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 2004 AD.
18- Abd al-Rahman Ibn Khaldoun, Introduction, 1st Edition, Frost House for Publishing and Distribution, Cairo, Egypt, 2016.
19- Dr. Abdul Ghani Ahmed Zaytouni, Human in Pre-Islamic Poetry, 1st Edition, Publications of the Zayed Center for Heritage and History, Al Ain, United Arab Emirates, 2001.
20- Poetry and Poets, Abdullah bin Muslim bin Qutaiba Al-Dinori, investigation: Dr. Ahmed Mohamed Shaker, Arab ammunition series, printed by the General Authority for Cultural Palaces in Egypt, Cairo, 2017.
21- Omar Farroukh, History of Arabic Literature, Volume 1, 8th Edition, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, Lebanon, 2006 AD.
22- Arabs in their history and civilization, d. Omar Farroukh, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 1980 AD.
23- Philip Hitti, History of the Arabs (extended), Dar Al Kashaf for Publishing and Distribution, 1951 AD.
24- Karl Brockelmann, History of Arabic Literature, translated by: Dr. Abdel Halim Al-Najjar, 5th floor, Dar Al-Maaref, Cairo, Egypt, part 1.
25- History of Islamic Peoples, Karl Brockelmann, investigation: Nabih Amin Fares and Munir Baalbaki, 5th edition, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 1968 AD.
26- Allama Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Razzaq al-Murtadha al-Zubaidi, Dictionary of the Crown of the Bride from Jawaher Al-Dictionary, Kuwait Edition, Volume 8.
27- Dr. Muhammad Al-Khatib, The Ancient Arab Society, 2nd Edition, Dar Alaa Al-Din Publications, Damascus, Syria, 2008.
28- Muhammad Saeed Farah and Dr. Mustafa Khalaf Abdul-Jawad, Sociology of Literature, Dar Al-Masira, Amman, Jordan, 1, 2009.
29- Muhammad Fakhr Al-Din Al-Razi (d. 606 AH), Al-Farasa (Your Guide to Knowing People's Morals), investigation: Mustafa Ashour, I 1, Al-Quran Library for Printing and Publishing, Cairo, 1987 AD.
30- Mahmoud Shukri Al-Alusi, "Bulugh Al-Arb in Knowing the Conditions of the Arabs", achieved by: Muhammad Bahja Al-Athari, 2nd Edition.
31- Dr. Walid Kassab, Modern Literary Criticism Curricula, Dar Al-Fikr, Damascus, 1, 2007 AD.
32- Dr. Youssef Murad, Physiognomy among the Arabs, translated and verified by: Dr. Murad Wahba, i 1, General Egyptian Book Organization, 1982 AD.

**Undergraduate theses:**

1- Badia Hussein Haidar, Alcohol in Pre-Islamic Life and Pre-Islamic Poetry, Master Thesis, American University of Beirut, 1986.
2- Manal Yaqoub Abdel Rahim, manifestations of pre-Islamic culture in the language of the Meccan surahs, Master's thesis, Nablus University, 2012.

**magazines**:

1 - Hani Abu Al-Rub, Infanticide among the Arabs before Islam and the attitude of Islam towards it, Dirasat Journal, Vol. 36, No. (1), Humanities and Social Sciences, 2009 AD.